

هُوَ اللَّهُ

قال الله تعالى  
”لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ“  
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

بِقَلَمِ  
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِكِيِّ الْحُسَيْنِيِّ



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فهذه رساله مختصره عن مسائل مهمه ، كثير فيها  
الخلاص من طلبه العلم ، منها مسأله الاستواء المستفادة من قوله  
« الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » ، ومنها قضايا تتعلق  
بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، وبعضها يتعلق بمقام  
الخلق والمخلوق ، والمجاز العقلي في هذا الباب ، وما ينبغي اعتقاده  
فيه من غير تأويل الجاهلين أو انتحال المبطلين أو تحريف الغالين .

سأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة  
لوجه الكريم ، وأن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ، وأن يرزقنا الباطل  
ظلاً ويرزقنا احتسابه ، إنه سميع قدير ، وبالإحابة جدير .

وصلى الله وسلم على خاتم رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين .

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام



## عقائد أهل الحق

هي عقائد السلف الصالح

الحمد لله وحده لأن كماله سبحانه هو الكمال الذاتي المنزه عن الحدود المطلق عن القيود ، وكل ما انصف به سواء من علم وحياة وسمع وبصر وكلام ، وعبر ذلك من صفات حسي الوجود منحه منحها لمعصر سبحانه وهو ماله كلها والمنصرف فيها ، وكل كمال في الوجود فهو كماله ، ملك له سبحانه ، وإذا كان الخط الجميل والصنعة المتقنة رصقه بلسان حليها بمهارة الكاتب والصانع وبراعته ، فكل ما في بوحود ألسنة حمد تنطق بحكمة البديع عر شأنه وعلمه وقدرته ، فلا يستحق الحمد على الحقيقة سواء ، لأن غيره ليس له الكمال الذاتي ، وليس مصدراً للكمال ولا منعماً ولا مدبراً .

وكل من تشرف بنعمته ، توجه عليه توجهاً ذاتياً شكر المنعم عز شأنه والشكر يتضمن الاعتراف للمنعم بالكمال والإنعام والمنة ، وذلك يقتضي استعمال نعمه في مرضيه ، فإن استعمالها في مساخطه كفران بحق المنعم والنعمة ويتضمن الشكر العظيم والمحبة ، وهما مراتب أعلاها العبادة ، ولا يستحقها إلا المنعم الأعلى سبحانه ، لا شيء إلا لأنه المنعم الحق . قال تعالى . ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد

حباً لله ﴿ . فلم ينف عن المؤمن أن يحب أحب الله فيه بقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ ، وإنما المسوع أن يتغالى في حبهم إلى أعلى المراتب ، فيسوي بين الله وبين خلقه في أعلى مرتبة التي هي حق الله وحده . لأنه لا يستحق الحب الأعلى والرغبة العليا والرهبة العليا سواه

وحب العبد لربه خالقه ومخلقه هو حب له لذاته سبحانه ، وحده لأحباب الله ، إنما هو الحب لله لهم لا لذواتهم ، ولو لم يحبهم الحق لم أحسبهم

وهذا امتياز العبادة عما دونها من المحبة والتعظيم ، فإن الفرق بين التعظيم الذاتي وغير الذاتي ، والحب الذاتي وغير الذاتي ومن تقرب إلى الله بعبادة غيره في قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ . لم يقولوا ما نحبههم لله أو ما نعظمهم لله . ولو تقربوا إلى الله بمحبتهم أو تعظيمهم - وكانوا أهلاً لذلك - لكان ذلك قربي حقيقة ، ولكن تقربوا إلى الله بمحبتهم المحبة العليا وتعظيمهم التعظيم الأعلى ، وذلك خاص بالمنعم الأعلى ، وتلك هي العبادة لا مطلق تعظيم ولا مطلق محبة ، وهذا في نفسه شرك لأنه مساواة لله بخلقه فيما هو حق الله وحده ، وإن جردوهم عن التأثير والخلق والتدبير . لأن مساواة الحق بغيره في التعظيم وحبه كحبه كفر صريح ، فقد تقربوا إلى الله بكفر لا بجائز .

وقد ضل قوم نسبوا نعمة الحق لبعض خلقه ، فاتخذوهم أرباباً ، وكذلك من اعتقد فيهم التأثير الذاتي أو العلم الذاتي أو حق التشريع من تحليل وتحريم ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه ، كما جاء عن المصطفى ﷺ .

ومن وصف الخالق بصفة المخلوق فهو مشرك ، وذلك كمن يعتقد فيه بدارك وسعالي أنه حسد ذو طول وعم من وارتفاع أو نسب إليه الاتحاد والحلول أو الحلول

ويحصل الدرس لا يفقهون أن كل موحود جسم ، إما من جماد أو هو ، أو سور إلى غير ذلك . وتلك أوهام باطلة يردّها الدليل ، والذي تقره عقول والدليل ، وحاءت الرسل بتحقيقه : أن الحق عز وحل منزّه عن مشابهة الحوادث .

ولا فرق بين من يتخيل حسماً يعبده ، وبين من يعبد صنماً من حجر أو حشب أو معدن ، ولا خلاف بين أهل الحق في أن المجسم حاهل بربه كافر به . وما نسب للحق عز شأنه من مجيء ونزول واستواء ، فبدهي أنه ليس نزول الأجساد ، ولا مجيئها ولا استواءها ، وإنما هي أمور تليق بالمنزّه عن الشبه والأمثال . قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ .

وقال تبارك وتعالى . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿ . فواضح أن الاستواء كان بعد خلق السموات والأرض . وانظر معنى ﴿ ثم ﴾ فهو فعل إلهي منزّه عن أن يشبه ما هو من الخلق .

وصفات الحق الذاتية أزلية : فالعلم أزلي ، والقدرة والإرادة أزليان ، وكل ذلك ثابت قبل الخلق مبرهاً عن أن يحدث ما من ومكان .

وكما أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان لأنه سبحانه منزّه عن الزمان . فعلمه تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِلَكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِلَكُمْ الْعُسْرَ ﴾ لا يعبر به لحال ولا الاستقبال ، كما هو الشأن في المعاصر . إذ نسب لزمسى فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية . وكذلك ﴿ وكان الله عني كرسيء قديرا ﴾ . لا يتقيد بزمان ، كان ولم يزل .

وقد قال تعالى في طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعَيْنِ وَالْجِسْمِ ﴾ . فالبسطة كلمة واحدة ، وإذا أضيفت للجسم كانت جسمانية تقاس بالطول والعرض والسّمك ، وإذا أضيفت للعلم الذي هو معنى غير جسماني كانت بما يناسبه فلا تقاس بالمعيار الجسماني

وإذا كان هذا في الحوادث ، فما نسب للحق وجب أن يكون منزهاً عن كل شبه بالحوادث ، لأن ذلك شأن الذات العلية المقدسة .

وكذلك الظرف إذا نسب للبارئ عز شأنه تجرد عن الظرفية ، لأن ذاته عز وجل منزّهة عن الظرفية ، ولا تليق بها ، وكان معناه بما



يناسب الحق المنزه عن المثل والشبيه .

فقوله تعالى ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ مجرد نسبة  
﴿ فِي ﴾ للحق والى منها الظرفية وكذلك ( على ) و ( مع )  
إلح

ونزول الجسم ومحضه إنما يكون بالانفعال اللاتق بالأحسام . ونزول  
من ليس بحسم يستحيل أن يكون النزول المعروف من الأحسام ، وإنما  
هو نزول إلهي منزّه عن الانفعال والمثل ، كما أن الذات تعال وتقدس  
عن المثل

وفي الرسالة القشيرية : « قربه كرامته ، وبعده إهانتة ، علوه من  
غير توكل ، ومجيئه من غير تنقل » . من غير توكل - لا تقله -  
لا يحمله حامل .

وكما أن أهل السُّنة لا خلاف بينهم في أن اليد في قوله تعالى :  
﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . هي غير الجارحة المعلومة . وكذلك الساق  
والأصبع ونحو ذلك . فهي غير اليد التي نعرفها والساق التي نعرفها  
والأصبع التي نعرفها ، فيجب أن نقول : نزوله ومجيئه واستواؤه غير  
النزول المعروف في الأحساد - ومجيئها واستوائها .

ومن أثبت للحق النزول والمجيء والاستواء الجسماني فقد ضل .  
وقد آمن أهل الحق بالنزول والمجيء الإلهي المنزه عن صفات الأجسام  
وسمات الحدوث ، وكفروا بالنزول والمجيء الجسماني بالانتقال من  
مكان إلى مكان .

وَأَمَّنُوا بِالْإِسْتِوَاءِ الْإِلَهِيِّ عَلَى الْعَرْشِ ، وَكَفَرُوا بِالْإِسْتِوَاءِ الْمَعْرُوفِ  
مِنَ الْأَجْسَامِ . لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْأَجْسَامِ مَكِيفٌ ، أَمَّا الْإِسْتِوَاءُ  
الْإِلَهِيُّ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَكِيفٍ .

وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ السَّلَفِيَّةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حُجَّةُ الْأَمَّةِ  
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْبَاقِينَ

أَمَّا مَنْ اسْتَسْرَ بِالْإِسْتِوَاءِ إِلَى السَّلَفِ ، وَهُوَ يَثْبُتُ الْجِسْمِيَّةَ لِلْحَقِّ  
سِرًّا عَنْ الْأَمْرِ ، الْمَقْصُودِ أَوْ يَشْكُكُ فِيهَا فَيَقُولُ لَا نَقُولُ جِسْمًا  
أَوْ نَسِرُّ رَحْمَةً فَهُوَ مُنْصَبٌّ لِلْحَقِّ بِإِرَادَةِ وَتَعَالَى بِتَجَوُّزِ الْجِسْمِيَّةِ  
عَنْهُ وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ

وَالْخُلَافَ الْحَقِيقِيُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَشْبَهِيِّينَ ، هُوَ فِي إِثْبَاتِ الْجِسْمِ  
وَعَيْهِدِ دَرِ الْمَوْحُودِ إِمَّا أَنْ تَجُوزَ عَلَيْهِ الْجِسْمِيَّةُ ، أَوْ لَا تَجُوزَ .  
وَمُسْتَحِيلٌ أَنْ يَتَجَرَّدَ عَنِ الْأَمْرِينِ أَوْ يَثْبُتَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَتَجُوزَ عَلَيْهِ  
الْجِسْمِيَّةُ وَلَا تَجُوزَ . وَلَا بَدَّ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، فَلَا يَسَعُ أَوْلَئِكَ الْقَوْمُ إِلَّا  
أَمْرٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ :

\* إِمَّا أَنْ يَثْبُتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ الْجِسْمِيَّةُ .

\* أَوْ يَنْفُوهَا عَنْهُ .

\* أَوْ يَقِفُوا مَوْقِفَ الشَّكِّ .

فَيَعْدُوا فَيَمْنُ بِجُوزِ الْجِسْمِيَّةِ عَلَيْهِ . وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ جُوزَهَا عَلَيْهِ

سبحانه وبين من أثبتها له فالكل من الضالين الذين أشركوا بربهم  
تبارك وتعالى ، حيث وصفوه بعنفة الحادث المحدود .

والذي علمه أهل الحق أنهم حرموا وامسوا أنه لا يجوز بوحه من  
الوحدوه أن يكون الأحد سبحانه فرداً من أفراد كلي فشمله حد الجسم  
أو غيره من المخلوقات سبحانه وتعالى مما يقول الظالمون علواً  
كبيراً

ومر امر رَأى الحق مره عن الجسمة أسقط من خياله جميع لوازه  
الجسمه ومر له يفعل فما زال في إيمانه بقية من الضلال

**كان الله ولم يكن شيء غيره :**

وكل ما سوى الحق مخلوق حادث بعد أن لم يكن . قال تعالى :  
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

ومهما تصور العقل امتداد سلسلة الحوادث في الماضي فحيث كل  
منها مسبوق بالعدم ، فالسلسلة كلها مسبوقة بالعدم ، ولا بد من تقدم  
موحدها عليها جميعاً ، في مجموعها وعلى كل فرد منها ، تقدماً  
ذاتياً منزهاً عن الزمان .

وقد صح عنه عليه السلام من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه  
« كان الله ولم يكن شيء غيره » . « كان الله ولا شيء معه » .  
« كان الله ولم يكن شيء قبله » . وهذه روايات الصحيحين والسنن .

وحيث إن الروايات إذا رويت بالمعنى اتحدت فيه ، فلا بد أن ترمي إلى معنى واحد وتدور عليه ، وإن اختلفت ألفاظها ، ورواية « ولم يكن شيء قبله » تحتمل وجهين ، أحدهما مطابق للروايات الأخرى فإنه إذا لم يكن شيء معه لا يكون قبله فلا يصح علمياً الأخذ بالوجه الآخر لمخالفة الروايات الصحيحة .

ومن أسدل برواية ( أنت الأول فليس قبلك شيء ) فقد أبعد ، فإن هذه الرواية تحتمل الوجهين أيضاً ، ولا يصح تأييد المحتمل بالمحتمل . على أنها لا تتنافى مع الروايات الصحيحة كما تقدم ، فيجب حملها على الوجه المطابق لها ، وإنما يحكم بالصرح على المحتمل .

ورواية الإمام أحمد في مسنده « كان الله قبل كل شيء » .

ومن أخذ بأحد الوجهين من محتمل وترك ما لا يحتمل من الروايات ، فقد خالف الأصول العلمية ، وأقام الدليل على أنه متبع للجهل ، وسلك مسلك أصحاب الزيغ الذين يأخذون بوجه مرجوح من نص محتمل ، ويتركون النص الذي لا إبهام فيه ولا احتمال ، والذي يعين المراد وينفي الإحتمال المرجوح .

وهذا إذا لم يكن هناك مصدر للحديث غير الصحابي الذي نقلت عنه هذه الروايات ، فكيف وللحديث مصدر آخر صريح لا يحتمل إلا وجهاً واحداً .

ففي رواية بريدة رضي الله عنه ( كان الله ولا شيء غيره ) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبه . وهذا يعين المراد ويرفع ما توهمه المخطئون والمبتدعون ، ولا تردد في ذلك عند من بحث الحديث مقدماً ما جاء به المصطفى ﷺ على الهوى . ولم يلعب بالحديث ويتبع المتشابه ويترك المحكم الصريح . نعوذ بالله من الهوى ونسأل الله العفو والعافية .

والواضح في هذه الروايات جميعها - وهو الأمر المقطوع به - أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد فهموا من حديثه ﷺ أموراً : أن الله سبحانه خالق كل شيء ، وأنه تبارك وتعالى كان قبل كل شيء ، ولم يكن شيء غيره ؛ وكان ولا شيء معه ، ولم يرد عن أي صحابي ما يتناقض ذلك صريحاً بأي وجه من الوجوه ، وفهمهم رضي الله عنهم حجة على غيرهم ، وقد سمعوا قوله الشريف ﷺ كفاحاً ووعوه وعقلوه وهم الأئمة .

وعلى هذا كان السلف الصالح من خير القرون .

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : « كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء » ، رواه الترمذي بسند حسن ، وقال : قال أحمد قال يزيد : العماء أي ليس معه شيء ، وحسبك بالترمذي والإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، وشيخه يزيد بن هارون حجة .

وفي رواية الإمام أحمد ( ثم خلق العرش بعد ذلك ) . وفي هذا بيان لمعنى ( وكان عرشه على الماء ) فالعرش والماء مخلوقان ، والقدرة صالحة لخلق العرش والماء والهواء في آن واحد .

وقد نسين لك بهذا الحق الواضح السن عقلاً ونقلأ

فهذا هو دس السلف الصالح حسعاً ، وما عداد دس الضالين السفهاء ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

وقد أمد بما ح ، عن الله على مراد الله عز وجل ، وأما بما حاء عن الرسول ﷺ وهو الذى يلبق بالمتزه عن الجسمية قطعاً ، لا على مراد الخدات وتصورات والأوهام

وكلام حطر بيالك ، من تصور للذات العلية فهو هالك ، والله بخلاف ذلك

ونسر للإنسان أن يذهب في تصور الذات العلية المذهب الخاطئ ، حيث يقسر الخالق على المخلوق ، مع علمه بأنه المتزه الذى ليس له مثيل .

على أن الحق قريب وهو ثابت في فطر العقلاء ، ومن اليسير أن ينتبه المؤمن له وي طرح الخيالات والأوهام الباطلة ، فإن كل مؤمن صحيح الإيمان يوقن بأن الحق هو خالق المكان والزمان وسائر الأكوان ، وأن وجوده سبحانه سابق على وجودها ، وأنه عز شأنه كان ولا زمان

ولا مكان ، وأنه سبحانه بعد خلق الزمان والمكان والأكوان لا يزال على ما عليه كان ، لم يتغير ولم يتبدل منزهاً عن الزمان والمكان والأكوان .

وقد تقدم لك أن انفراد الحق عز شأنه بالوجود قبل خلق المخلوقات من أمكنة وأزمنة وجهات ومكاني وزماني هو عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ وسائر السلف الصالح ، وهو الذي يثبت العقل البرهاني ، وما سواه دخل لا سيد له من عقل ولا نقل فلا يلتفت إليه .

أما كيف خلق الله الخلق فقد قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ . والعبرة بعموم اللفظ الإلهي الأقدس ، والإيجاد والإمداد شأنه سبحانه ، والله على كل شيء قدير .

وكما أن الإنسان إذا أراد شيئاً في مملكته الخاصة كان ، بإرادتك في مملكته الخاصة مثل مصغر ، يكفي لإقامة الحجة عليك في الإيمان بنشوء إرادة المتفرد بالكمال المطلق سبحانه في عوالم الإمكان ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

### الأحادية والكلام والقدر :

هو الأحد سبحانه لا يشارك في أحديته - في ذاته وصفاته وفعله - لا يعلم كنهه غيره ، وإذا كان المحدود لا يدرك ما هو أوسع منه حداً ، فكيف يدرك غير المحدود ؟ قال تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبُصَارُ ﴾

والإدراك الإحاطة بكنهه .

وقال : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ﴾ . وصح عنه ﷺ رؤية المؤمنين لربهم عز وجل ، والإدراك المنفي غير الرؤية المشبهة فيصح أن يراه ولكن لا يحيط به ، وهي غير الرؤية المقتضية للجسمية أو الحدوث ، وقد آمننا بأن قول الله حق وقول رسوله حق على الوجد الذي يليق بكماله الأقدس عز وجل لا تشبهه ولا تكيف . سبحانه أنت كما أثبت على نفسك لا نهضني ثناءً عليك .

وكلامه عز وجل حق ، ومذهب السادة الصوفية فيه مذهب السلف الصالح أنه قديم غير مخلوق ، ومن زعم أنه حادث يشترك مع الحوادث في الحدوث فهو ضال مخالف لمذهب السلف . وفتنة القول بخلق القرآن - التي حصل رأيها ابن أبي دؤاد - ثابتة ، ولا يشك عاقل في أن الإمام أحمد ضرب ليقول بقوله فلم يقل ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ ﴾ فهو محدث بالنسبة لهم لم يعلموه من قبل ولم يعرفوا مثله عن آبائهم ، ومن زعم أنه محدث بالنسبة للذات العلية فقد خاب وخسر . ويسأل بعض من لا يفقه : كيف يحكي الحق قول أناس قبل وجودهم ؟ والجواب عن ذلك يسير .

ألم يثبت في الصحيح أن القلم كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ؟

أفلم يكن ما سيخاطب الله به موسى والأنبياء مكتوباً قبل هذه النشأة الإنسانية ؟ لا شك أن ذلك كان موجوداً في عالم الظهور في



اللوح ، وكان قبل ذلك في الغيب الذي لا يعلمه إلا الله في البطون ،  
وسلمنا علم كنهه لله .

أما القدر فإيمانهم فيه إيمان الصحابة رضوان الله عليهم لا يبطلون  
حجة الله على خلقه ، فالتكليف حق ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية من  
حبرية ومعتزلة وأهل السنة على ذلك ولم يسقط التكليف - بشروطه  
المعروفة في الشريعة المطهرة - إلا الملحدون الإباحة الخارجون عن  
الإسلام والعدو والإزادة والعدو لا شك في مطابقتها للعلم الأزلي .  
ولا تنافي بين الإحاطة بالعلم والتكليف عند الجميع ، وإذا كان خلاف  
الأمة الإسلامية بجميع طوائفها لم ينال التكليف نفسه ، وإنما ينصب  
على سبب التكليف ؛ فالخلاف في حقيقته إذاً ليس بأي بال ، فإن من  
وقف على سبب التكليف يبين فسيعلم أنه مكلف ، وأن التكليف  
حق . وسيعمل على ذلك الأساس ، ولا يضر إن كان سببه هذا  
أوداع

وحيث إن الأمة قد أجمعت على التكليف ، فلا شك أن من آمن به  
وجهل سببه فهو ناج عند الجميع ، ونرد إلى العلم الإحاطي سر التوفيق  
بين ما قصر علمنا عنه ، ولا خلاف بين العلماء أنه من الممكن أن يكون  
هناك من الحقائق ما إذا اطلعنا عليه أقمنا الحجة على أنفسنا بوجه من  
الوجود الممكنة ، والعقل النزيه لا يجعل ذلك في حيز المستحيلات .  
وفوق كل ذي علم عليم <sup>(١)</sup> .

(١) أهل الحق العارفون بالله لشيخنا العارف المرشد السيد محمد الحافظ بن عبد اللطيف  
التجاني المصري

# الرحمن على العرش استواء

## والفوقية العرشية لم ترد

أما بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله من غير تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل ﴿ لَس كَمِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ هذه هي عقيدة السلف ، وهذا هو الذي بحث أن لواحد به التصومس الواردة في الكتب والسنة المنطهره دور رباده أو نقصان ، ولكن بعض من يدعى الالتزام بذلك يرد من عبده وباحدهاده ورأسه وهواد لفظ : « وإن شاء مسير فوق العرش » .

وعدا اللفظ بصفه هكذا لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة وإن ورد لفظ الاستواء ، ولفظ الاستواء ليس خاصاً بالعرش بل ورد في غيره كقوله : ﴿ ثُمَّ أُسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ولقول : « بأن الله فوق العرش » يحتمل معانٍ متعددة منها ما هو كفر صريح ومنها ما هو إيمان صحيح ، لأنه إن أراد بذلك التجسيم والإحاطة المكانية والتشبيه بفوقية المخلوقات والحادثات التي توصف بالفوقية كما يقول القائل : جلست فوق الكرسي أو على الكرسي ، فإن أراد القائل بفوقية العرش هذه الفوقية التي تفيد التجسيم والتشبيه والنسبة المكانية والزمانية فهو كفر صريح كما يدل عليه

القرآن الكريم من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾  
 وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
 كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وإن أراد بهذه الفوقية الرتبة والمقام والعلو كما يؤوله  
 البعض أو أراد فوقية لانفقه بمقام الله حل حلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾  
 وهو السميع البصير ﴿ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما  
 بقوله البعض الآخر ، فلا شك في أنه الإيمان الصحيح الذي قرره أئمة  
 السلف الصالح رضى الله عنهم ، والحاصل أن وصف الرحمن بأنه  
 ( فوق العرش ) مع كونه غير وارد بهذا اللفظ في القرآن أو في السنة  
 الصحيحة المنقولة عليها ولا يصح وصف الله سبحانه وتعالى إلا بما جاء  
 عنه - نص - صحيح الثابت لا بالاجتهاد ولا بالاستنباط .

أقول : هذا الوصف مع أنه لم يرد فإنه يعطي احتمالات متعددة :  
 فمنها : احتمال الكفر إذا أراد به التجسيم ، ومنها احتمال الإيمان إذا  
 أراد به المعنى الوارد .

ولكن صدور هذا الوصف من مؤمن موحد يوجب علينا أن نحمله  
 على معناه الإيماني الصحيح ، ومثله لفظ : ( الله موجود في كل  
 مكان ) فهو مع كونه أيضاً يعطي نفس الاحتمالات المتعددة لكن  
 صدوره من مؤمن موحد يوجب علينا حمله على أقرب معانيه إلى  
 التوحيد تحسناً للظن بالمسلمين ، فكيف بمن يبادر ويتسرع إلى الحكم  
 بالكفر والإخراج عن الإسلام ، ولا شك عندنا في أن المتكلم بهذا

الكلام وغيره من عوام المسلمين الذين يرد هذا اللفظ على ألسنتهم لا  
منع في تصورهم أبداً المعنى الكفري والمفهوم الشركي الذي قد يحتمله  
اللفظ ، بل المقصود منه المعنى العام الذي يتصوره من بقول بالمعنى  
الإلهية وهي معية العلم الحفظ والنصر والتأييد

### الاستواء بالاستقرار :

ولا يصح الرساءه على رءس الاسماء باحدها أو استنباط ، بل  
يجب التمكن مما ورد في النص دون رساءه أو نقص لأن الموضوع لا  
يدخل فيه لعقر النظر ، وإما موقف العقل هو التسليم ، الإيمان بما جاء  
كما جاء ، كما في إمامه الشافعي ، وهو من كبار أئمة السلف :  
أمس به وءىء على مراد الله من غير تشبيه ولا تعطل  
ولا تمثل ولا تكيف \* ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قال إمام الحرمين - رحمه الله تعالى - : أجمع المسلمون على منع  
تقدير صفة مجتهد فيها لله عز وجل لا يتوصل فيها إلى قطع بعقل أو  
سمع ، وأجمع المحققون على أن الظواهر يصح تخصيصها أو تركها بما  
لا يقطع به من أخبار الآحاد والأقيسة ، وما يترك بما لا يقطع به كيف  
يقطع به ؟ . ( أنظر التعليق على السيف الصقيل في الرد على ابن  
زفيل للسبكي ص ٥٨ ) .

وما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله

عالي ﴿ استوى على العرش ﴾ ، استقر على العرش وقد امتلأ به  
أو صعد إليه أو استوت عنده الخلائق وما إلى ذلك ، فذلك من رواية  
أبي صالح ومحمد بن مروان الكلبي ، قال البيهقي : كلهم متروك عند  
أهل العلم بالحديث لا يحتجون بشيء من رواياتهم لكثرة المناكير فيها  
وظهور الكذب منهم في رواياتهم قال علي بن المديني : سمعت  
يحيى بن سعيد القطان يحدث عن سفيان قال قال الكلبي : قال لي  
أبو صالح كل ما حدثك كذب ، عن سفيان عن الكلبي قال : قال  
لي أبو صالح انظر كل شيء ، وسمعت عن ابن عباس رضي الله  
عنه ولا يروى

وقد روى يحيى بن معين : الكلبي ليس بشيء . وقال الإمام  
سحري : محمد بن مروان الكلبي الكوفي صاحب الكلبي سكتوا عنه  
ولا يكتب حديثه ألبتة .

قلت : وكيف يجوز أن تكون مثل هذه الأقاويل صحيحة عن ابن  
عباس رضي الله عنهما ثم لا يروونها ولا يعرفها أحد من أصحابه  
الأثبات مع شدة الحاجة إلى معرفتها ( الأسماء والصفات مع حذف  
يسير اختصاراً ص ٤١٣ - ٤١٥ ) .

قال التابعي الجليل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه  
( الوصية ) : نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن  
يكون له حاجة واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش من

غير احتياج . اهـ . ( الوصية وشرحها مطبوعة مع الفقه الأكبر والإبانة وغيرها معاً (ص ٦٢) ) .

### الاستواء وزيادة لفظ الذات :

كذلك يجب الالتزام بالوارد في صفة الاستواء دون زيادة لفظ ( بذاته ) فقد سمعنا بعضهم يقول بغير دليل من الكتاب والسنة : إن الله تعالى استوى رده فوق العرش ، بدلاً من ( استوى على العرش ) الثابت بصر الثمرات الكريمة ، وإن الله بائن من خلقه ، ولفظ : بائن من خلقه ، لم يرد في كتاب ولا سنة ، وإنما أطلقه من أطلقه من السلف بمعنى نفى المسارحة رداً على حبههم وأتباعه الجهمية لا بمعنى الابتعاد بالمسافة ، تعالى الله عن ذلك ، كما صرح بذلك في الأسماء والصفات ص ٤١ .

وأما لفظ ( فوق العرش ) فلم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث الأوعال من رواية ابن منده في التوحيد ، وفي سنده عبد الله بن عميرة مجهول الحال ، ولم يدرك الأحنف فضلاً عن العباس . ( انظر التعليق على السيف الصقيل للسبكي ص ٤٧ ) .

وقال السلفي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في مقدمة مختصر كتاب العلو للإمام الذهبي - بعد كلام - ومن هذا العرض تبين أن هاتين اللفظتين ( بذاته - بائن ) لم تكونا معروفتين في عهد

الصحابه رضوان الله عليهم . ولا في عهد التابعين فإطلاقهما حينئذ  
محدث .

قلت : ولا في عهد التابعين ولكن لما استدع الجهم وأتباعه القول  
بأن الله في كل مكان ، اقتضى ضرورة البان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة  
الأعلام بلفظ ( بئس ) دون أن ينكروا أحد منهم . أه ص ١٨ .

قلت لقد رأى أولئك ودون دليل أن سبيل الرد على الجهم  
الذي حكم عليه بالكفر وصل عليه والحمد لله - هو التلفظ بما يوهم  
التثنية والتجسيم في حق الله تعالى والحلول في مكان فقالوا : مستوي  
به به وإن عر حله فدفعوا بعطيل الجهم وتأولوه بشي . قريب غير  
بعد عن حيث اللفظ من تجسيم محمد بن كرام السجستاني حتى  
ظهروا كهم أولياء على الله تعالى يضيفون إليه ما شاءوا من الألقاب  
حرصاً على التوحيد ، ألا ليتهم سكتوا أو نزّهوا وفوضوا كما فعل  
السلف .

قال الإمام التابعي الجليل أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا ينبغي  
لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف  
سبحانه به نفسه ، ولا يقول فيه برأيه شيئاً . ( إيضاح الدليل ص ٤٤  
- ٤٥ ) .

قال الشيخ الإمام بدر الدين بن جماعة : إذا ثبت ذلك فمن جعل  
الاستواء في حقه ما يفهم من صفات المحدثين ، وقال : استوى بذاته ،

أو قال استوى حقيقة . فقد ابتدع بهذه الزيادة التي لم تثبت في  
السنة ولا عن أحد من الأئمة المقتدى بهم ، وزاد بعض المتأخرين فقال :  
الاستواء مماسته الذات ، وأنه على عرشه ما ملأه ، وأنه لا بد لذاته من  
نهاية يعلمها ، وقال آخر : يختص بمكان دون مكان ، ومكانه وجود  
ذاته على عرشه ، قال : والأشبه أنه مماس للعرش ، والكرسي موضع  
قدميه . وقال يحيى بن عمار بل يقول هو بذاته على العرش ، وعلمه  
محيط بكل شيء ، قال الذهبي بعد نقله قول يحيى قولك ( بذاته )  
من كسبك ( انظر كتاب العلل الذهبي من ١٧٨ ) .

وفي هذا ذكر ط ماب من كلام بعض المجسمة ، ولا حول ولا  
قوة إلا بالله

قلت : وإمام أحمد بريء مما ينسب إليه من أمثال هذه  
المنكرات ، فإن لمقول عنه أنه كان لا يقول بالجهة للباري تعالى ،  
وكان يقول : الاستواء صفة مسلمة ، وهو قول بعض السلف رضي الله  
عنهم . وسئل أحمد عن الاستواء ، فقال : استوى على العرش كيف  
شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ، ذكره الخلال بسنده إليه  
من كلامه . ( {أهـ} إيضاح الدليل ١٠٨ ) .

### العرش والفوقية :

كذلك يجب الالتزام بالنص والتقيد بالوارد في صفة الاستواء ، ولا



يصح الزيادة عليها باجتهاد أو استنباط ، وكذلك يجب الاكتفاء والتقييد بما ورد في النص دون زيادة من نص آخر غير صحيح . مما لا تثبت به الأحكام من الحلال والحرام ، فضلاً عن العقائد التي هي أشد خطراً وأعظم رتبة ، فكيف بمن يثبت أموراً في هذا الباب بأحاديث مختلف فيها بين العلماء ، كمن يزيد لفظ ( الفوقية على العرش في صفة الاستواء ) ، فيقول بأنه فوق العرش مع أن لفظ ( فوق العرش ) لم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث الأرواح من رواية ابن منده في التوحيد ، وقد تقدم أن في سنده عبد الله بن عميرة وهو مجهول الحال ، ولم يدرك الأحنف فضلاً عن العباس .

#### الاعتماد على الحديث الصحيح دون الضعيف في العقائد :

قال ابن الصلاح في ( مقدمة في علوم الحديث ) : يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى . وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفنون الأعمال ، وسائر فنون الترغيب والترهيب ، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد .

ومن رويناه عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما . ( كذا في مقدمة ابن صلاح ص ٤٩ ) .

وقال الإمام النووي في التقريب : ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام ، وما لا يتعلق بالعقائد والأحكام . ( كذا في تدريب الراوي شرح السيوطي على التقريب ج ١ / ص ٢٩٨ ) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في الكلبى : يكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها ، فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا ، يريد أقوى منه . قال البيهقي : فإذا كان لا يحتاج به في الحلال والحرام فأولى أن لا يحتاج به في صفات الله سبحانه وتعالى ، وإنما نقموا عليه في روايته عن أهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه أساميهم . ( كذا في الأسماء والصفات ص ٤١٨ ) .

ومن العجيب أننا نرى بعضهم ينكر على الناس أموراً بدعوى أنه لم يصح فيها حديث ، فلا يجوز العمل بها ولا الاعتماد عليها مع أن هذا الباب واسع . وللعلماء فيه نوع من التساهل فيما يسمى بالعمل بالحديث الضعيف حسب القواعد المعروفة المقررة في علم الأصول ، والمصيبة الكبرى أن هذا المنكر للعمل بالحديث الضعيف في أبواب الفضائل والمناقب والترغيب والترهيب الذي رخص فيه العلماء ، هذا المنكر لهذا الأمر المرخص فيه نراه يستدل في أبواب العقائد بأحاديث ضعيفة ومتكلم فيها ، كاستدلالهم بحديث الأوعال المتكلم فيه .

وهو في باب العقائد التي يمتنع العمل فيها اتفاقاً بالحديث الضعيف ،  
بل لابد فيها من الصحيح الثابت إن لم نقل المتواتر . فلا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم .

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا روينا في الحلال  
والحرام شددنا . وإذا روينا في الفضائل ونحوها نساھلنا .

وفي رواية عنه الأحاديث الرقائق بحمل أن تتساهل فيها حتى  
يجيء شيء ، فده حكمه

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رضي الله عنه : إذا روينا عن  
السبي عليه السلام في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في  
الرجال

وقال الإمام أبو زكريا العنبري : الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ولم  
يحلل حراماً ولم يوجب حكماً وكان في ترغيب وترهيب أغمض عنه  
وتسهل في روايته . ( الأجوبة الفاضلة للإمام اللكنوي ، ص ٣٦ ) .

وقال النووي في كتابه ( الأذكار ) : قال العلماء والفقهاء  
وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب  
بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً ، وأما الأحكام كالحلال والحرام  
والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك ، فلا يعمل فيها إلا بالحديث  
الصحيح أو الحسن « اهـ .

وقال الحافظ العراقي في ( شرح ألفيته ) : أما غير الموضوع  
فجوزوا التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه إذا كان في  
غير الأحكام والعقائد ، في الترغيب والترهيب من المواعظ والقصص  
وفضائل الأعمال ونحوها ، وأما إذا كان في الأحكام الشرعية من  
الحلال والحرام وغيرهما أو في العقائد كصفات الله تعالى وما يجوز  
وما يستحيل عليه ونحو ذلك فلم يروا التساهل في ذلك ،

ومن نصّ على ذلك عن الأئمة عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن  
حنبل وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد عقد ابن عدي في ( مقدمة  
الكامل ) والخطيب في ( الكفاية ) باباً لذلك « ا هـ ( ج ٢  
ص ٢٩١ ) .

### تحقيق مهم في قول الإمام مالك عن الاستواء :

وقد نقل الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه العظيم  
« الأسماء والصفات » ( ص ١٥٠ ) نصوصاً متعددة تبين موقف  
الإمام مالك من مسألة الاستواء ، ومالك هو إمام أهل السنة والجماعة  
وعالم المدينة وأمير المؤمنين في الحديث .

فمنها ما رواه ابن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل  
فقال : يا أبا عبد الله « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » كيف  
استواؤه ؟ قال : فأطرق مالك ، وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه

فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف .  
وكيف عنه مرفوع . وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه ، قال :  
فأخرج الرجل .

ومنها ما رواه يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس فجاء  
رجل فقال يا أبا عبد الله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فكيف  
استوى ؟ قال : فأطرق مالك حتى علاه الرقصاء . ثم قال : الاستواء  
غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه  
بدعة ، وما أراك إلا مبذعاً ، فأمر به أن يخرج . وروى في ذلك أيضاً  
عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أستاذ مالك بن أنس رضي الله عنهما .  
وروى في ذلك أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها رواه اللالكائي .

قال الحافظ العبدري في ( دليله : ص : ٣٦ ) : وأما ما رواه  
اللايكائي عن أم سلمة رضي الله عنها وربيعه بن عبد الرحمن أنهما  
قالا : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول فمرادهما بقولهما :  
غير مجهول أنه معلوم وروده في القرآن ، بدليل رواية عند اللالكائي ،  
وهي : ( الاستواء مذكور ) أي مذكور في القرآن . وهذا مراد مالك بما  
روى ولم يثبت عنه الاستواء معلوم كما هو شائع وذائع على الألسنة ،  
ولو ثبت لكان مراده ما قلناه وهو أنه مذكور في القرآن ، وأما ما  
يروى عنه أنه قال : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة فهذا لم يثبت  
عن مالك ولا غيره من الأئمة رواية فلا اعتداد به .

## جملة من أقوال السلف في الصفات :

قال محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة الثاني رحمهما الله تعالى : اتفق الفقهاء ، كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه ، وقال : ما وصف الله تعالى به نفسه فقراءته تفسيره ، ذكره اللالكائي في ( شرح السنة ) .

وذكر البيهقي بسنده إلى إسحاق بن موسى الأنصاري قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية ، ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن حديث الرؤية والنزول ونحو ذلك قال : تؤمن بها وتصدق بها ولا كيف ولا معنى ، ( شرح السنة ) للالكائي .

قال عبد الملك بن وهب : كنا عند مالك بن أنس رحمه الله تعالى فدخل عليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استواؤه ؟ قال : فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه .

وفي لفظ له رحمه الله تعالى بطريق يحيى بن يحيى : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وما أراك إلا مبتدعاً ، فأمر به فأخرج .

وروي ذلك عن ربعة الرأي أستاذ مالك رحمهما الله تعالى فقال  
عبد الله بن صالح بن مسلم : سئل ربعة الرأي عن قول الله تبارك  
وتعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ قال :  
الكيف مجهول والاستواء غير معقول ، ويجب علي وعليك الإيمان  
بذلك كله .

قال البيهقي : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال : هذه نسخة  
الكتاب الذي أملاه الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب في  
مذهب أهل السنة فيما جرى بين محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وبين  
أصحابه فذكرها وذكر فيها ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ بلا  
كيف ، والآثار عن السلف في هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل  
مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين  
بن الفضل البجلي ، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي .. إلخ .

وقال الإمام البغوي في ( شرح السنة ) : أهل السنة يقولون ،  
الاستواء على العرش صفة لله تعالى ، بلا كيف ، يجب على الرجل  
الإيمان به ، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، وذكر خبر الإمام مالك  
رحمه الله تعالى .

سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في حديث النزول فقال :  
ينزل بلا كيف ( كذا في الأسماء والصفات ص ٤٥٦ إيضاح الدليل  
ص ٤٠ ) .

## أعظم دليل على صحة التأويل

ونورد هنا حدثاً صحيحاً هو أكبر حجة على صحة التأويل ، وأن قول من يقول بأن التأويل باطل هكذا بالإطلاق هو أبطل الباطل بل لابد من التفصيل وسان أن بعض المفسرين قد أولها العلماء ، وسوا لها معار يخالف ظاهراً ما يدل عليه ، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ بنفسه حيث قال

« يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني ، فيقول : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، فيقول : يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، فيقول : أي رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ فيقول تبارك وتعالى : أما علمت أن عبدي فلاناً استسقاك فلم تسقه ؟ أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟ قال : ويقول عز وجل يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، فيقول : أي رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه ؟ أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي » لفظ حديث الأشييب ، وفي رواية زيد بن الحباب « فلو عدته لوجدت ذلك عندي » وبمعناه قال في باقي الحديث ، أخرجه



مسلم في الصحيح من حديث بهز بن أسد عن حماد ، وفيه أن ذلك  
يقوله يوم القيامة .

قال الحافظ أبو بكر البیهقي : واستفسار هذا العبد ما أشكل  
عليه دليل على إباحة سؤال من لا يعلم من يعلم ، حتى يقف على  
المشكل من الألفاظ إذا أمكن الوصول إلى معرفته ، وفيه دليل على  
أن اللفظ قد يرد مطلقاً والمراد به غير ما يدل عليه ظاهره ، فإنه أطلق  
المرض والاستسقاء ، والاستنطعام على الأسد والمراد به ولي من أوليائه ،  
وهو كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ  
وِرَسُولَهُ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ،  
وقوله : ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ ﴾ والمراد بجميع ذلك  
أوليائه ، وقوله : ﴿ لَوْ جَدْتَنِي عِنْدَهُ ﴾ أي وجدت رحمتي وثوابي  
عنده ، ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَ حِسَابِهِ ﴾  
أي وجد حسابه وعقابه اهـ ( الأسماء والصفات ١ / ٣٥٠ ) .

## ابن تيمية والتأويل

وقد نقل الشيخ ابن تيمية الذي يتبجح أدعاء السلف باتباعه في إبطال التأويل والمجاز عن السلف بأوبلات كثيرة مسرف فيها اللفظ عن ظاهره ومن ذلك

**معبة الله وقربه من خلقه .**

فقد حكى ابن تيمية في معبة الله وقربه أربعة مذاهب ، وأرضى منها مذهباً واحداً هو المذهب الرابع ونسبه إلى سلف الأمة من أئمة الدين وتعلمه وشيوخ العلم والعباد كما يقول ابن تيمية نفسه : إنهم آمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من غير تحريف للكلم وأثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته وأنه على عرشه بائن من خلقه وهم بائون منه وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ( مجموع الفتاوى ٥ / ٢٣١ ) .

وبعد أن أسند هذا التأويل إلى السلف عموماً عاد فأسده إلى الإمام أحمد شيخ المذهب قال : إن حنبل بن إسحاق سأل الإمام أبا عبد الله عن قوله تعالى : ﴿ إلهو معهم أينما كانوا ﴾ فقال : علمه عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء .

إن لفظا المعبة والقرب هنا مصروفان عن ظاهرهما ، والسرف في هذا

الصرف هو نفي المماسسة الحسية .

وصفوة القول : أن ابن تيمية مقر بالتأويل المجازي وأن لم يسمه مجازاً ، وأنه اتخذ منه وسيلة للدفاع عن سلامة العقيدة وتبرئة ساحة كتاب الله العزيز من المطاعن

وقد حلل ابن تيمية نصوصاً شرعية أخرى على هذا المنوال ، منها قول الخليل عليه السلام : ( رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ) . وقوله تعالى : ﴿ وما زادوهم غير تنبيذ ﴾ . وقوله ﷻ : « أهلك الناس الدرهم والدينار ، وأهلك النساء الأحمران : الذهب والحرير » .

كل هذه النصوص حللها على أن إسناد الإضلال وزيادة التنبيذ وإهلاك الناس والنساء إلى الأصنام والدرهم والدينار والذهب والحرير روعي فيها أن هذه المذكورات أسباب أما الفاعل الحقيقي فهو الله عز وجل .

### ابن القيم والتأويل :

اعلم أن المجاز هو أساس التأويل وقاعدته وركيزته الكبرى وبابه الأعظم .

وقد أنكره الشيخ ابن القيم في كتابه ( الصواعق المرسلة ) لكنه اعتمده وأقرّ به في مواضع متعددة من كتبه وشأنه في ذلك شأن شيخه

ابن تيمية الذي أقر بالمجاز تأويلاً وتصريحاً في مواضع مختلفة من مؤلفاته .

ومعنى هذا أن لابن القيم مذهبين في المجاز : مذهباً متعارفاً مشهوراً هو الإنكار ، ومذهباً غير مشهور هو الإقرار .

والإقرار بالمجاز عندنا هو عين التأويل لأنه صرف اللفظ عن ظاهره لأي سبب من الأسباب المجازية وهو التأويل .

قال الدكتور عبد العظيم المطعني : وكانت أدلتنا على إقرار الإمام ابن تيمية بالمجاز كثيرة :

الأول : تأويلات مجازية نقلها عن بعض السلف ثم ارتضاها مذهباً له في نصوص قرآنية .

الثاني : تأويلات مجازية استأنفها هو استثناءً من عند نفسه .

الثالث : ورود المجاز في حر كلامه مع الرضا به وأعماله في توجيه مشكلات نشأت عن صعوبة الأخذ بظواهر نصوص مقدسة كما اتخذ من المجاز وسيلة للدفاع عن الأئمة الأعلام ومواقفهم من الحديث النبوي الشريف وقد تقدم هذا كله في إيجاز : أما الإمام ابن القيم فلنا على مذهب الإقرار بالمجاز عنده دليلان : إضافيان لا يتطرق إليهما شك ، وهما :

**الأول :** تأويلات مجازية مستفيضة وردت في كتبه غير الصواعق

**الثاني :** ورد المحار صريحاً في حر كلامه وهو في هذين الدليلين أطول ساعاً وأكثر لهجاً من شيعه الإمام ابن تيمية رضي الله عنهما وعلى هذا الأسس يدر الحديث

### **التأويلات المجازية :**

تتبع التأويلات المجازية عند العلامة ابن القيم وأرجعنا كثيراً منها إلى أصولها البلاغية فوجدناها مورعة على جميع أنواع المجاز ، فكان منها :

تأويلات مجازية من قبيل المجاز العقلي .

وتأويلات مجازية من قبيل المجاز اللغوي المرسل .

وتأويلات مجازية من قبيل المجاز اللغوي الاستعاري (١) .

---

(١) المحار عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار ص ٢٤ للدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى

## الصفات تفسيرها السكوت عنها

### تفسير السلف للصفات

وقد سئل ربيعة الرأي عن قول الله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ قال : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول ، ويجب علي وعلى الإيمان بذلك كله ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني محمد بن يزيد ، سمعت أبا يحيى البزار يقول : سمعت أبا العباس ابن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه .

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ . قال شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى : متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلباً للتشكيك في القرآن وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن ، أو طلباً لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره المجسمة ، حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعن يد وجنب ورجل وإصبع ، تعالى الله عن ذلك ، أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلها وإيضاح معانيها ، أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر

فيه السؤال ، فهذه أربعة أقسام :

الأول : لا شك في كفرهم ، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة .

الثاني : الصحيح القول بكفرهم ، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ، وسننابور ، فإن نابوا ، وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد

الثالث : اختلفوا في حوار ذلك بناءً على الخلاف في حوار تأويله . وقد عرف بأن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم رستحالة ضواهرها ، فيقولون : أمرؤها كما جاءت ، وذهب بعضهم إلى . تأويله وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل عنها .

الرابع : الحكم فيه التأديب البالغ . كما فعله عمر رضي الله عنه بصيغ ( انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ / ١٥ - ١٦ ) .

سأل الزمخشري أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

فأجابه بقوله : إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بأين أو كيف وهو مقدس عن الأين والكيف ، ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عني ما أقول  
ثم سر غامض من دونه  
أنت لا تعرف إياك ولا  
لا ولا تدري صفات ركبت  
أين منك الروح في جواهرها  
وكذا الأتفاس هل تحسرها  
أين منك العمل والفهم إذا  
أنت أكل الخبز لا تعرفه  
عندما كنت طواياك التي  
كيف تدري من على العرش استوى  
كيف يحكي الرب أم كيف يرى  
قَبُولَ أين ولا كيف له  
هو فوق الفوق لا فوق له  
حلّ ذاتاً وصفات وسمى

قصر اللوم فذا شرح يطول  
ضربت - والله - أعناق الفحول  
تدري من أنت ولا كيف الوصول  
فيك حارت في خفاياها العقول  
هل تراها فتري كيف تجول  
لا ولا تدري متى عنك تنزل  
المحب النوم فقل لي يا جهول  
كيف يجري منك أم كيف تبول  
بين جنبيك كذا فيها ضلول  
لا تقل كيف استوى كيف النزول  
فلعمري ليس ذا إلا قُضُولُ  
وهو رب الكيف والكيف يحول  
وهو في كل السواحي لا يرول  
وتعالى قدره عما تقول



## المعية الإلهية

تقدم في بيان عقائد القوم رضي الله عنهم ، أنهم يؤمنون بكل ما نسب الحق عز وجل إلى نفسه من غير تكييف ، لا على الوجه المعروف في الحوادث ، فكما أن ذاته لا تشبه شيئاً من الذوات فصفااته تعالى لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقات ، ولا فعله يشبه فعل الخلق ، وهذا أمر متفق عليه ليس بين المسلمين فيه خلاف .

وبيننا أن الفعل إذا نسب للحق تجرد عن الزمان ، فيريد ويشاء إذا نسبت للخلق دخلها الحال والاستقبال ، وإذا نسبت إلى الحق زال منها الزمان فلا حال ولا استقبال لأنها نسبت إلى خالق الزمان ، فهي إرادة مطلقة أزلية أبدية غير مقيدة بالزمان .

وكذلك الظرف إذا نسب للحق زالت منه الظرفية لأنه تبارك وتعالى خالق الظروف والأمكنة ، فكان قبل الأمكنة بلا مكان ، وجلّ سبحانه عن أن يتغير ويتبدل ، فلم يكن سبحانه فاقداً لكمال حتى يفيد من وجود المخلوقات ذلك الكمال ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

فإذا سمعت قوله تعالى : ﴿ أَمْ نُنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾ فالأصل في لفظة ( في ) أنها إذا نسبت إلى ما يجوز عليه الظرفية كانت

بمعنى الظرفية ، وإذا نسبت إلى من لا يجوز عليه الظرفية انتفت عنها  
الظرفية فكانت بالمعنى المنزه اللائق بالمنزه سبحانه ، ومتى عرفت أن  
ذاته تعالى ليست بجسم ولا تشبه الأقسام في سائر صفاتها أثبتت  
أنها ليست بالمعنى الجسماني ، وإنما هي بمعنى آخر يليق بالذات  
الأقدس . وعرفت أن قوله ﷻ « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » وقوله  
تعالى ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ هو نزول ومجيء إلهي بعيد عن كل وصف في  
النزول والمجيء المعروف في الأجسام

ومن الناس من أثبت للحق سبحانه المعية المعروفة في  
الجسمانيات ، وهذا يلزمه الحلول والتجسيم ، ومثبته لا خلاف بين  
علماء المسلمين في كفره ، ويعتقدون أنه سبحانه حال في كل مكان  
كحلول الماء في العود والروح في الجسد ، وهذا ضلال بين ، وهو  
سبحانه كان قبل كل شيء بلا مكان ، وهو على ما عليه كان ، منزه  
عن التغير والتبدل ، وأن يحل في مكان أو يتجسد أو يتحد بمخلوق .

وأراد آخرون أن ينزهوه عن هذا القول ، فوصفوا فوقيته على كل  
شيء بالوصف الجسماني ، فحيزوه في ناحية من الكون ، فوقعوا فيما  
فروا منه ، ويقولون : قال فلان : هو فوق كل شيء بذاته ومع كل شيء  
بعلمه ، وهل علمه ينفصل عن ذاته ، وهل ( بذاته ) وردت في آية من  
كتاب الله أو حديث رسول الله ﷺ ؟ لم ترد ، ولماذا قلده في  
العقيدة ؟ وهل في العقائد تقليد ؟

والأصل في ذلك أنهم لم يقطعوا بأن الحق منزّه عن الجسميّة ، ولو  
نزّهوه عنها لسقطت جميع لوازم الجسميّة من خيالاتهم .

وبيان ذلك أنك إن فرضت أن فوقية الذات على العرش هي  
الفوقية المعروفة فيما نشاهد ، فلا يسمعك إلا أن تربط بينها وبين  
المجيء والنزول اللذين نسبا للحق في الكتاب والسنة ، فتقول : إنهما  
كذلك المجيء والنزول المعروف لنا لما نشاهد .

فإذا جاء ونزل إما أن تقول إنه مازال على الفوقية المعروفة فتكون  
قد ثبت النزول المعروف ، فإنه لا يوجد شيء من الأجسام يكون فوق  
شيء فينزل ، ولا يزال على فوقيته ، فكأنك قلت ينزل ولا ينزل ، وهذا  
هو الجمع بين الضدين ، وهو محال .

أو تثبت المجيء الحقيقي المعروف فتكون قد أزلت عنه الفوقية  
المعروفة .

فإن أولت المجيء والنزول وقلت بالفوقية المعروفة فقد افتضحت ،  
وإن أولت الفوقية وقلت بالمجيء المعروف فقد افتضحت .

وإنما يلزم التناقض من ظن أن فوقيته سبحانه الفوقية الخلقية ،  
ونفى عنه الفوقية الإلهية التي لا تشبه بوجه فوقية الخلق ، وظن أن  
المجيء هو المجيء الخلقى ونفى عنه سبحانه المجيء الإلهي المنزه ، وهذا  
هو الضلال البين الذي يشبه تناقض الكفار القائلين ثلاثة هي واحد  
وواحد هو ثلاثة في وقت واحد .

ولا ندري ما الذي دها عقولهم حتى حملوا النصوص على الفوقية التي تجماع فوقية الخلق ، وقد نفاها الشرع والعقل ، مع أن الباحثين في المادة حتى الملاحظة بدأوا يغيرون رأيهم في الأجسام المادية ويردونها إلى أصل غير الأحسام . وقد قرر بعضهم : أن الأثير نصف مادي .  
فالمؤمنون أولى بترك الحمود الجسماني .

والمحيى ، والفوقية والمعصية المادية مكيفة ، أما غير المادية فلا تنطوي لها كيف ، وهذه هي السلفية الصحيحة

ولما لم يحملها هؤلاء على الفوقية المزهة التي تفارق فوقية الخلق ونزول المعصومين التي عن ذلك .

وكذلك المجيء وغيره ، وبذلك يخرجون من التناقض الذي هو آية صعب تفكير ، وديننا هو الدين الواحد الذي لم ينفك دين غيره عن التناقض والتهافت .

والتحقيق العلمي في ذلك أن الحق سبحانه ليس بجسم فما نسب إليه ليس بجسماني ، فهي فوقية ليست بجسمانية .

ونزول ليس بجسماني ، ومجيء ليس بجسماني ، ومعية ليست بجسمانية .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ أما الإحاطة بالحادثة فهي كإحاطة السوار بالمعصم ، والإحاطة الإلهية منزهة عن أن تشبه الإحاطة بالحادثة .

وقرب الحق من عباده ثابت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ  
الْوَرِيدِ ﴾ أقرب إليهم من أنفسهم ، فإنه سبحانه قيومهم ، لا يشاءون  
إلا أن يشاء ، هو الذي يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا حول لهم ولا  
قوة إلا بالله العلي العظيم .

### القرب المنزه عن جميع صفات القرب الحادث :

سبحانك أين كنت أي حث كنت ولا مكان ، وأين تكون كما كنت  
ولا مكان . وحديث الترمذي أنه سئل <sup>عنه</sup> أين كان ربنا قبل أن يخلق  
الخلق ؟ قال كان في عباد الله ، والعباد غيب ، وقد فسره السلف أي  
ليس معه شيء ، وهو الموافق لما جاء في الأحاديث الصحيحة .

فليس هناك أي جمع بين ضدين ولا تقيضين .

ومن الجبل المركب أن يقول بعض الضالين : إما أن يكون داخل  
الكون أو خارجه ، ويزعج الجاهل الكاذب علي ربه أن نفياً معاً  
وصف له بالعدم ، وهو منتهى الغباء ، وهو دليل على أنه مجسم  
ضال ، فإن ذلك لا يلزم إلا في التجسيم ، فإننا ننفي عنه سبحانه  
دخوله في الكون الدخول الجسماني ، وننفي عنه سبحانه خروجه عن  
الكون الخروج الجسماني ، ونثبت له سبحانه الفوقية الإلهية والقرب  
الإلهي والإحاطة الإلهية المنزهة عن الصور الجسمانية بسائر أوصافها  
من حلول واتحاد وتداخل وامتزاج ومكان ومسافة ، فإن ذاته منزهة عن  
الجسمية ولوازمها فوصفه منزّه عن ذلك كله .

ونسلم الأمر لله حقاً ونفوضه له صدقاً ، لا تفويض المنافقين الذين  
يحرمون التقليد في الفروع وهم مقلدون في العقائد لقوم لا يجدون  
مضاضة في مخالفتهم في الفروع ، فباسبحان الله .

أولئك الذين يظهرون التفويض زوراً ويبطنون التجسيم الوثني  
الذي حاء الإسلام بسخطه

واعلم أن من لم يزل اثار التجسيم من قلبه فما زالت آيات الوثنية  
فيه فإنه سبحانه ليس كمثله شيء . من جمع الوحدانية . أمّا بما أنزل الله  
على مرار الله . وهذه هي عقيدة السلف الصالح قاطبة لا تكيف ولا  
تشبيه

## أَيْنَ اللّٰه ؟

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال : وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم ، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكنني صرّكتها صدقة ، لمأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ ، قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : انتهي بها ، فأتيتها بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإني مؤمنة . ( رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ) .

قار في المشكاة : ورواه مالك في كتاب النكاح باب في كون الرقبة في الكفارة المؤمنة .

وعن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال : يا رسول الله إن عليّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها . فقال لها رسول الله ﷺ : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أني رسول الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت نعم ، قال : أعتقها .

( رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية ، فقال : يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة ، فقال لها رسول الله ﷺ : أين الله ؟ فأشارت برأسها إلى السماء بأصبعها السبابة ، فقال لها رسول الله ﷺ : من أنا ؟ فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء ، أي أنت رسول الله ، قال : أعتقها ، ( رواه أحمد والبرار والطبراني في الأوسط ) .

إلا أنه قال لها : من ربك ؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقالت : الله ، ورحاله مؤثقون .

( انظر مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣ كتاب الإيمان ، باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله ) .

هذا الحديث الشريف تمسك به من يقول بالجهة مع العلو والفوقية وهو خلاف مذهب عامة أهل السنة والجماعة القائلين بالعلو والفوقية النافين للجهة ، لأن الجهة فيها إثبات النسبة المكانية ولا تحتل المجاز بخلاف العلو والفوقية ، أما العلو فإنه يحتل العلو المكاني كقولك : الكتاب على الكرسي ، ويحتل علو الرتبة كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، وأما الفوقية فإنها تحتل الفوقية المكانية التي هي التجسيم بعينه ، كقولك : الكتاب فوق الكرسي ، ويحتل الفوقية الرتبية التي تدل على الفضل ورفعة المقام كقوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وجمهور أهل السنة



والجماعة يشبتون العلو للعليّ الغفار ، ويشبتون الفوقية له سبحانه وتعالى ، ولكنهم لا يقولون بالجهة المقتضية إثبات الجسمية والنسبة المكانية وهي قطعاً من صفات الحوادث بلا شك ولا ريب .

إذا علمت هذا فاعلم أن السؤال عن الله بأيّن ليس من أصول التوحيد ، نعم ، إنّ إثبات الاستواء له وإثبات العلوّ والفوقية اللائقة به هو ما صرح به القرآن الكريم ، وهو الوارد عن السلف ، لكن السؤال عنه بأيّن ليس من أصول الدين ، بل وينافي كمال التنزيه المطلوب ، وليس هو مقياس صحيح معتبر للكشف عن حقيقة الإيمان وإجراء أحكام الإسلام وترتيب ما يترتب على ذلك من حقوق وحرّمات .

إنّ المقياس الصحيح المعتبر للكشف عن حقيقة الإسلام أخبر عنه نبيّنا محمد ﷺ حين قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » ، ويقوله : « من قال لا إله إلا الله صادقاً حرّمه الله على النار » ، فإذا قال القائل : لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أعطى البيان الصحيح الكافي عن معتقده ، واعتصم بحماية الدين ودخل في حصن حصين .

وكان ﷺ قبل أن يحارب الأعداء ينتظر هل يسمع أذاناً من قبلهم ، فإذا سمع كف عنهم ، ولم يكن من سنته في معاملة الأمة أن يسألهم عن مكان الله بعد إقرارهم بكلمة التوحيد ، ولم يقل أنه ينبغي

لهم أن يقرّوا بعد ذلك أو مع ذلك بأن الله في السماء ، أو يجب أن نسألهم أين الله ؟ .

هذا مع أنه ثبت من طرق أخرى أن السؤال وقع بغير هذا اللفظ وهو قوله : ( أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ ) وقوله في رواية أخرى : ( من ربك ؟ ) .

وبهذا تعلم أن استدلال بعضهم بهذا الحديث على أن لله مكاناً أو أنه سبحانه متّحيز في جهة استدلال معلول ساقط ، والقول به باطل ، فقد اتفقت كلمة أهل السنة والجماعة على وجود تنزيله الحق عن الجسمية ، فهو سبحانه منزّه عن الأطوال والأبعاد ، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك حتى الكرامية المجسمة عندما قالوا بالجسمية قالوا هو جسم لا كالأجسام ، وهذا تناقض أو نفاق ، فإنهم إن أثبتوا الجسمية بحقيقتها المعروفة عند الإطلاق والمتعارف عليها لفظياً بين أهل اللغة فإنهم يثبتون جسماً له طول وعرض وعمق ، فإن نفوا عنه الطول والعرض والعمق كان تناقضاً ، وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم وإن لم ينفوه وإنما نفوا أن يكون كالأجسام من حيث أوصاف أخرى لم ينفعهم النفي لأنهم جعلوه فرداً من أفراد الأجسام يشمله حد الجسم فيكون فرداً من كلي . وهؤلاء الذين لا خلاف بين محققي العلماء في كفرهم لأنهم مشركون .

وكذلك قد اختلف العلماء فيمن نسب إليه سبحانه وتعالى الجهة

الفرقية المعروفة التي تقابل التحتية ، ولما كانت الجهة فرع الجسمية فإن الجسم ذو ستة سطوح ، فإذا وضع الجسم بإزاء جسم آخر أو أجسام نشأ عن هذا الوضع الجهات الست : فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف ، والجهات اعتبارية قد تتغير بتغير الوضع والاعتبار ، فمن أثبت الجهة للحق سبحانه لزمه القول بالجسمية ، فإن التزم الجسمية وقال بها فلا خلاف بين العلماء في كفره ، ومن نفاها فقد تناقض فإنه بالقول بالجهة أثبت الجسمية ، وقد نفاها في أن واحد حيث صرح بنفي الجسمية .

وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في كفرهم رجوعاً إلى القاعدة ، هل لازم المذهب مذهب وإن لم يلتزمه صاحبه ، أو ليس بمذهب ؟

أما من نسب للحق سبحانه أنه تحت الأشياء فهو كافر بالإجماع حيث لا شبهة له .

### حديث الجارية :

أما حديث الجارية الذي فيه أنه ﷺ سألها أين الله ؟ . فقالت : في السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة . فقد قال شيخنا الشيخ محمد الحافظ : إن كلمة الوفاق بين علماء المسلمين قاطبة من أهل السنة سلفاً وخلفاً أن أين الله - بفرض أنها وردت كذلك - ليس معناها أن الله تبارك وتعالى له مكان ، والرسول ﷺ يسأل عن المكان الذي هو متحيز فيه ، ولا خلاف

في أن ذلك باطل مردود ، فإنه سبحانه خالق الأكوان بما فيها المكان ،  
ووجوده سابق عليها ، فكان قبل الأمكنة بلا مكان ، وحل سبحانه عن  
أن يتغير أو تبدل ، فلما خلق المكان فهو سبحانه على ما عليه  
كان ، غي عن المكان والأكوان .

وحيث إن من الكافرين من يعتقد أن الحق جالس على العرش في  
السما ، الخلق المعروف ، وقال المسحون إنه أسمع ولده فأجلسه  
محواره على العرش ( انظر أناجيلهم ) ، فإذا سألت أحدهم : أين  
لده ؟ سجد في السماء ، لا يدل على أنه موحد له ، فلا يزال  
على كفر ، في اعتقد الولد له ، سبحانه عما يقول الضالون .

ومن موضح البين أن الرسول ﷺ إنما كان يسألها سؤالاً يفيد  
حواله على شرك ، وحيث إن السؤال بأين الله ، بمعنى السؤال عن  
المكان والحوال في السماء ، لا يفيدان نفي الشرك ، فنحن نجزم بأن  
هذا سؤال له يصدر منه ﷺ على هذا الوجه ، فإن صح في اللغة أين  
الله بمعنى تعيين المعبود لا تعيين المكان ، كان ذلك هو المقصود .  
كم يسأل ولداً عن أبيه مثلاً وهو لا يعرفه : أين أبوك ؟ من هؤلاء  
القوم ؟ وهو لا يريد أن يسأل عن مكانه ، وإنما يريد أن يعينه له ،  
فالجواب هذا أبي .

ودوي أن الحق سبحانه وتعالى ينادي يوم القيامة :

( أس الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ) .

ومعنى هذا : يا من كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع هلموا  
يقوموا ، وبدهي أنه ليس سؤالاً عن مكانهم .

وقد ورد أنه ﷺ سأل حصيناً : كم إليها تعبد ؟

قال : ستة في الأرض وواحد في السماء ، فمثل هذا إن سألته  
سائل : أين الله ! فسيقول في السماء ، ولا يزال على كفره وشركه ،  
ولا يدل السؤال والحوار على أنه مؤمن ، وإنما السؤال الذي يدل جوابه  
على التوحيد ، كأن يقول لها من ربك ؟ أو من تعبدون ؟ فتقول :  
الله ، أو أعبد الله ، وقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى  
يقولوا لا اله الا الله » ، ولم يقل ﷺ : حتى يقولوا إن الله له مكان  
في سماء .

وحسب الروايات قد تكون باللفظ ، وقد تكون بمعنى ما فيه  
راوي واحتمل تصرفه في اللفظ وارد وقوي ( وإن كان في الصحيح  
سيما وأنه قد صح بلفظ ( من ربك ؟ ) . ولما كان هذا هو السؤال  
سوي يعين التوحيد . فنحن نجزم بأن أفصح الخلق الذي أوتي حوامع  
الكلم لا يصح أن يسأل - وهو يريد معرفة توحيد الجارية - سؤالاً  
يريد به وجهاً لا يعين التوحيد لكن لما كانت الجارية أعجمية لا تحسن  
العربية حاطبها النبي ﷺ على قدر فهمها بقوله : أين الله ، ولما كان  
التعسير بالقول عن الإشارة شائع في اللغة والعرف استعانت الجارية في  
جوابها بالإشارة لا بالعبارة ، ولما كان شأن المتكلم بالإشارة أن يستعين

على تصوير ما يريد إفهامه من الأمور المعنوية بالمحسومات لم يستدل  
ص بجوابها على أنها كانت تعتقد الجهة فضلاً عن أنها محددة . ونرد  
فهم من يُنسب إلى رسول الله ﷺ ذلك ونعتبره وهماً وسوء فهم .

## توحيد الألوهية والربوبية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر

اعلم أن التوحيد الذي جاءت به المرسلون وبينه خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام أم بيان ، وتطوق به القرآن ، وبرهن عليه أسطع برهان ، هو أنه تعالى واحد في ذاته ، واحد في صفاته ولا خالق سواه . ولا يستحق العبادة إلا هو ، والكلمة الطيبة « لا إله إلا الله » تنصير أقسام التوحيد كلها ، وقد أحسن البهقي بيان ذلك في كتابه « التوحيد والصفات » فمما نقله عن أبي عبد الله الحلي . أما وحدانيته في ذاته سبحانه فمعناها أن ذاته العلية لا تتركب من أجزاء مادية ولا عقلية ، ولا من أصول غير مادية ، فلا تحوّل حول حماها المقدير والمساحات والأشكال ونحوها . وقد برهنه القرآن ببيان أن له سبحانه الغنى الأكمل وجوب الوجود ، والتركيب في الذات واتصافها بالمقدار ولوازمه يستلزمان الحاجة إلى الغير والافتقار إلى السوى ، وينافيان وجوب الوجود ، ويقتضيان الاتصاف بالإمكان ، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً ، فهو واجب الوجود ، وهو الأول والآخر ، وهو الغنى الحميد . وأما أنه واحد في الصفات فهو أنه سبحانه لا ثاني له في وجوب الوجود ، وما يستلزمه من الكمالات العليا اللاتقة بمرتبة وحدوده الأعلى : من الحياة ، والعلم ، والإرادة والقدرة ، وإذا قد ثبتت

وحدانيته فيما ذكر ، لزم أنه لا خالق سواه ولا رب غيره ، وإذا بان أنه لا خالق سواه ثبت قطعاً أنه لا يستحق العبادة غيره ، فإن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - أي استحقاق العبادة - متلازمان عرفاً وشرعاً ، فالقول بأحدهما قول بالآخر ، والإشراك في أحدهما إشراك في الآخر ، فمن اعتقد أنه لا رب ولا خالق إلا الله ، لم ير مستحقاً للعبادة إلا هو ، ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره كان ذلك بناءً منه على أنه لا رب إلا هو ، ومن أشرك مع الله غيره في العبادة كان لا محالة فادلاً لرؤس هذا العسر ، هذا ما لا يعرف في الناس سواه ، فإن من لا يُعبد له رؤوسه استحالة أن يُتخذ معبوداً ، ولهذا تجد الناس ، عسهم الصلاة والسلام ومن أرسلهم حل جلاله يكتفون في دعوة إلى التوحيد بأحدهما ، ويضعون كلا منهما موضع الآخر ، اكتفاءً بسنة التلازم بينهما في العقول ، وأن القول بتوحيد الربوبية هو إقرار بتوحيد الألوهية وبالعكس ، وإليك البيّنات من القرآن والسنة : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاسْتَهْدَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ فماذا كانت صيغة العهد بنص القرآن ؟ هكذا : ﴿ السُّبْحُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ولم يقل بإلهكم ، وجعله سبحانه حجة على من أشركوا به في العبادة حيث قال : ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية .

البس هذا صريحاً في أن أخذ العهد بتوحيد الربوبية هو أخذ



للعهد بتوحيد العبادة ؟ هذا ما لا خلاف فيه بين العلماء من زمن الصحابة إلى عهدنا هذا .

**موقف نبي الله نوح عليه السلام :**

ماذا قال نبي الله نوح لقومه الوثنيين ؟ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي ۖ ، وَأَقَامَ لَهُمُ الرِّهَانُ عَلَىٰ نُوحٍ الرَّبُّوبَةِ ، لِمَا تَقْرَرُ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَنَهَا لَا تَعُدُّ عِندَ عِزِّ اللَّهِ إِلَّا إِذَا أَشْرَكَ هَذَا الْغَيْرُ فِي الرَّبُّوبَةِ ، وَإِذَا انْحَرَجَ عَنْهَا هَذَا الْإِشْرَاقُ تَبَعَهُ السَّوْحِدُ فِي الْعُودَةِ .

**موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام:**

ما إذا قال إبراهيم لذلك الذي حاحه في ربه ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت ، وقال عليه السلام لقومه تنزلا معهم ليهديهم إلى الحق : هذا ربي ، هذا ربي ، ولم يقل : إلهي ، وكان نهاية الحجة أن قال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، وما هذا إلا توحيد الربوبية المستلزم في كل عقل إذا سلمه توحيد الألوهية .

وقال الخليل عليه السلام أيضاً لعباد الأصنام : ﴿ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ الآية ، أليس هذا إضراباً  
إبطالياً لما اعتقدوه من ربوبية الأصنام ؟ وأقام الدليل الحسي عليه  
السلام على عجز الأصنام بتكسيه إياها بياناً لعباديتها أنها لو كانت  
أرباباً كما اعتقدوا لاستطاعت الدفع عن نفسها ، فإذا بطلت ربوبيتها

## موقف نبي الله موسى وهارون عليهما السلام :

ولما قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون : أنا رسول رب العالمين جرت بينه وبينهما محاوراة تتعلق بالربوبية والألوهية ذكرتها هذه الآيات بالتفصيل وهي قول الله تعالى حكاية عن فرعون وموسى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَتْ مَتَمِعُونَ ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . وقال فرعون مرة : ﴿ مَا عَلِمْتُ نَكَمٍ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ وقال أخرى : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ .

## موقف نبي الله عيسى عليه السلام :

ويقول الله لعيسى ابن مريم : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؟ ، فيقول بعد كلام حكاة عنه التنزيل : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ ، فلو كان توحيد الربوبية لا يستلزم عندهم توحيد الألوهية كما زعم بعضهم ، لتوجه على المسيح عليه السلام أن يقال له : ما أدبت رسالتنا فإنا إنما أرسلناك بتوحيد الألوهية ، ولم نكلفك ببيان توحيد

الربوبية لأنهم مقرون به ، ولكننا نرى الله تعالى قد قبل منه هذه  
الحجة ، أفلا يكون في ذلك على ما نقول أبين حجة ؟ وعنه عليه  
السلام في موضع آخر من الكتاب العزيز : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُوهُ ﴾ بقاء التفريع والترتيب المفيدة للاستلزام ، ويقول القرآن  
فيما أمر به الرسول الأعظم تارة : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ أي  
معبوداً ، وأخرى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

### سؤال الميت في القبر :

حديث المسألة في القبر الذي يكاد يبلغ حد التواتر المعنوي  
مشهور ، وفيه أن الملائكة يقولان للميت : من ربك ؟ ولا يقولان : من  
إلهك ؟ فإذا أجابهما : « الله ربي » اكتفيا منه في التوحيد بهذا  
الجواب ، وله يقولان له : هذا توحيد الربوبية ، وهو لا ينجيك .

قأول ما خاطب الله الأرواح : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . واكتفى منهم  
بالإقرار بوحدانيته في الربوبية ، وأول ما تسأل الموتى في قبورها : من  
ربك ؟ واكتفى منهم بالإقرار بأنه ربهم ، أفبعد هذا يشكك متشكك ؟  
ولكن الله يهدي لنوره من يشاء .

### تقرير قرآني في المسألة :

وقد رتب القرآن اللوازم الفاسدة على نفي الوحدانية في الألوهية  
بيانا منه تعالى أن الشركة في الألوهية تستلزم الشركة في الربوبية

عند المشركين لا محالة ، تعالى الله أن يكون له شريك ، فانظر ماذا قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ومعناه عند أولى النهي : أنه لو كان معه إله لكان رباً وخالقاً ، ولو كان معه ذلك لذهب .. إلخ ، وإنما يكون الدليل تاماً إذا صحت الملازمة ، كما في مسلمة عند المحاطين ، وبأنى الله أن يكون حجته إلا تامة ﴿ وتنبأ كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ ومعنى هذا أن القرآن بقوله أن من أشرك في أسد حق العباد ، كان مشركاً لا محالة في الربوبية ، وكذلك قال تعالى ﴿ نُوَكِّرُ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لِفُسْدِنَا ﴾ ولم يقل : أرباب ، لتلازم لربوبه والألوهية نفيًا وإثباتًا .

وتقرير هذا البرهان الشريف يطلب في كتب العقائد ، وخلاصته أنه لو كان معه شريك في الألوهية لكان شريكاً في كونه رباً وخالقاً ، ولو كان كذلك لكان شريكاً له في وجوب الوجود ، ولو كان ذلك كذلك لفسدت العوالم ، ولما كان لها نظام ، بل ما كان لشيء منها وجود .

### الخلاصة :

وهذا يتضح لك حلياً أنه لا خفاء على من تدبر كتاب الله في أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان في نظر العقل والشرع ، فالقول بأحدهما قول بالآخر ، وانتفاء أحدهما في اعتقاد من اعتقد الانتفاء قول منه بانتفاء الآخر ، والبرهنة على أحدهما هو استدلال

على الآخر ، والقول بأن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ما حاءوا بتوحيد الربوبية لأن الناس كانوا في غنية عن بيانه ، وما حاءوا إلا بتوحيد العبادة - احتجاجاً ببعض الآيات التي لم يحسنوا فهمها - قول تكذيبه نصوص الكتاب العزيز ، ودعوى يدحضها العلم بتاريخ المشركين قديمه وحديثه ، ما حكاه الكتاب العزيز من ذلك وما علمه الناس ، هؤلاء المعتنون بعتة السامري من بني إسرائيل أشركوا العجل في عبادة ربهم ، فقال لهم بني الله هارون بصغفه المحصر ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ يعني لا هذا العجل ، فهل يصح منه عليه السلام هذا الكلام لا إذا كان إسرائيهم في العبادة مبسماً على الإشرار في الربوبية ؟

نعم إن القول بخلاف هذا معاندة للحق ، وانقياد لمحض الهوى ، وصح أن سألنا سأل عيسى عن وصية موجزة كافية لا يسأل بعدها أحداً غيره ، فقال له : بأبي هو وأمي ، عليه الصلاة والسلام - ( قل : ربي الله ثم استقم ) فلو كان كما يقول ذلك المفرق بين التوحيدين الذي استحللت بناءً على فتياه هذه دماء لا تحصى ، حقها الإسلام وحرمها الله ورسوله ، لكانت هذه الوصية غير كافية لا مؤدية لما جاء به المرسلون ، وحاشاها من ذلك ، كذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ الآية ، وهذه العبارة في موضعين من كتاب الله تعالى في سورة ( حم السجدة وسورة الأحقاف ) . وقد رتب السعادة كلها على الاستقامة المبنية على قول : ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ دون أن

يقول إلينا ، فهل بعد الله ورسوله لأحد من قول ؟ ﴿ فَبَآئٍ حَدِيثٌ  
بَعْدَ اللَّهِ وَأَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فليحذر المسلم من تحريف الغالين والتحال المطلقين وهجوم المنكرين  
الذين لا هم لهم إلا التشيع على جماهير المسلمين وكثيرهم ، نه  
أكابرهم من العلماء ، العاملين وأهل السنة المحققين ، بأنهم أئمة الكفر  
والهادمون للإسلام ، والمناعدون للسنة والقرآن ، والخائنون لدين الله  
إلى أشبه ذلك مما يحس له وجه الإسلام وتغضب له الحقائق ، ويلقى  
سدور الشقاق بين الأمة ، التي وحد الإسلام الصحيح بينها ، وأوصى  
الإسلام أئمة بالمحافظة عليها - أعني تلك الوحدة - فنسأل الله الكريم  
بسيه العظيم سي الرحمة أن يلهم جميع الأمة الرشد حتى تجتمع ولا  
تتفرق وتتحاب ولا تتباغض . إنه ذو الفضل العظيم (١) .

(١) انظر م فان القرآن للشيخ سلامة العرام .

## ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

هذه الآية من النصوص التي يستدل بها البعض على مرادهم المردود وفهمهم الخاطئ وتصورهم الفاسد فيطبقونها على كل من توسل بالنبي ﷺ أو بالأولياء والعالمين من هذه الأمة المحمدية ، وعلى كل من تبرك بهم أو بآثارهم الحسنة والمعصية ، وعلى كل من عظمهم واحترمهم ، راعى أن ربه المسلمين العالمين والتوسل بهم والتبرك بآثارهم والدعاء عند قصورهم عما به لهم كعبادة المشركين للأصنام ، ولم يفرقوا بين الحق والباطل ولم يدركوا أن الله تعالى إنما أنكر على المشركين عبادتهم للأصنام وإيخادها إلهه من دونه تعالى وإشراكهم به في دعوى ربوبية وأن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها ربة من دون الله ، لا من حيث توسلهم بها وقولهم أنها تقربهم إلى الله زلفى

وهي دقيقة لا بد من بيانها ، وهي : أن آخر هذه الآية يشهد بأن أولئك المشركين لم يكونوا صادقين في قولهم مسوغين عبادة الأصنام . ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ، فإنهم لو كانوا صادقين في ذلك لكان الله أجلاً عندهم من تلك الأصنام ، فلم يعبدوا غيره . قال تعالى مبيناً هذه الحقيقة في آخر هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿١﴾ ، وقد نهى الله تعالى المسلمين من  
سب أصنامهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَبَّأَ كُلُّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

روى عبد الرزاق وعبد بن حمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي  
حاتم وأبو الشيخ عن سعدنا فصاده ربي الله عنه أنه قال : كان  
المسلمون يسبون أصنام الكفار فسب الكفار الله عز وجل ، فأنزل الله  
تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا  
بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . هذا سب نزول هذه الآية ، فهي إذن تنهى المؤمنين نهى  
محرم شديد أن يقولوا كلمة نقص في الحجارة التي كان يعبدونها  
بوتيسير مكة المشرفة . لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غضب أولئك  
بوتيسير غيرة على تلك الأحجار التي كانوا يعتقدون من صميم  
قلوبهم أنها الهة تنفع وتضر ، وإذا غضبوا قابلوا المسلمين بالمثل  
فيسبون ربهم الذي يعبدونه وهو رب العالمين ، ويرمونهم بالنقائص وهو  
المنزه عن كل نقص ، ولو كانوا صادقين بأن عبادتهم لأصنامهم تقربهم  
إلى الله زلفى ، ما اجتروا أن يسبوه انتقاماً ممن يسبون آلهتهم فإن  
ذلك أوضح جداً في أن الله تعالى في نفوسهم أقل من تلك الحجارة .

وقل ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ فإنهم لو كانوا يعتقدون حقاً أن



الله تعالى الخالق وحده ، وأن أصنامهم لا تخلق لكنت عبادتهم لله وحده دونها ، أو لكان على الأقل احترامهم له تعالى فوق احترامهم لتلك الحجارة

وهل هذا يتفق مع شتمهم له عز وجل غيرة على حجارتهم وانتقاماً لها منه سبحانه وتعالى ؟ ، إن البداة تحكم أنه لا يتفق أبداً ، وليست الآية التي معنا وحدها تدل على أن الله تعالى أقل عند أولئك المشركين من حجارهم ، بل لها أمثال : ﴿سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿أَوْجَعُوا اللَّهَ صَماً ذَرْأً مِنْ الْحَبْرِ وَالْأَسْعَامِ فَصَبَّأَ فُلُقَاؤُهُ هَذَا لِلَّهِ بِرُءُوسِهِمْ وَهَذَا يُسْرُكُهُمْ كَانُوا كَانِهِمْ فَمَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصْرِفُ مَا يَشَاءُ مَا يَكْتُمُونَ﴾ فلولاً أن الله تعالى أقل في نفوسه من تلك الحجارة ما رجحوها عليه هذا الترجيح الذي تحكيه هذه الآية ، واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . ومن هذا القبيل قول أبي سفيان قبل إسلامه : ﴿أَعْلُ هُمْ﴾ . كما رواه البخاري ينادي صنمهم المسمى بهبل أن يعلو في تلك الشدة رب السموات والأرض ويقهره ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذي يريد أن يغلب آلهتهم ، هذا مقدار ما كان عليه أولئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله رب العالمين .

فليعرف حق المعرفة : فإن كثيراً من الناس لا يفهمونه كذلك ، ويننون عليه ما يبنون ، فلو قالوا إنما نعبد الله وحده لا شريك له لا

الأصنام ؛ وعبوديتنا لله تعالى لا للأصنام ، ولكن لا اعتقادنا قريبا من الله على رُغمهم جعلنا عبادة الله عندها فقط من غير أن نشركها بربوبية ولا ألوهية ، وإنما نرجو ببركتها أن يقبل الله عبادتنا ودعاءنا له وأن يقربنا إليه زلفى ، أو قالوا إنما نتخذها قبلة والعبادة خالصة لله تعالى لما أشركوا ، وإنما ينسب إليهم الجهل بارتكابهم محرماً فقط . حيث إنهم جعلوا لها هذا الاستحقاق من دعوى القرب أو القبلة من غير أمر من الله ، ولا علم أتاهم ، ولا سلطان جاءهم ، وعلى هذا ثم يكفرون بعبادتهم لله تعالى عندها ؛ كما لا يكفر المؤمن بالله تعالى لو أذن في كنائس الكافرين ؛ أو صلى فيها فرضاً أو نفلاً ، ألا ترى أن الله لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة في صلاتهم توجهوا بعبادتهم إليها ؛ واتخذوها قبلة . وليست العبادة لها ، وتقبيل الحجر الأسعد إنما هو عبودية لله تعالى ، واقتداء بالنبي ﷺ ، ولو أن أحداً من المسلمين نوى العبادة لهما لكان مشركاً كعبدة الأوثان ، وقد ثبت أن الأعمال بالنيات ، ومناط جميع الأعمال على النية والقصد ، ولم يسم الانحناء لتقبيل الحجر الأسعد ووضع النبي ﷺ جبهته عليه سجوداً له ، كما يزعم المنكرون أن المسلمين في تقبيل أيدي أولياء الله يسجدون لهم ، ولو كان سجوداً لكان الانحناء لتقبيل الحجر الأسعد سجوداً له ، وحينئذ يقعون في الورطة التي أرادوا الفرار منها ، وقد ثبت أن حبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما أخذ بركاب زيد بن ثابت أحد علماء الصحابة رضي الله عنه ، فسمعه

تعظيماً له ولقرايته من رسول الله ﷺ ، فقال له عبد الله : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فأخذ بيده وقبلها وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ، ولم يعد انحاء من فوق سرج بغلته لتقبيل يد عبد الله بن العباس سحوداً

وهذا دليل على أن كلا منهما أمر بتعظيم الآخر ، وأن تعظيم الصالحين وتقبيل أيديهم مشروع

وحاء في مسأسي داود عن رابع رمسي الله تعالى عنه وكان من وفد عبد القيس ، قال : فجعلنا نبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورحله ،

وحاء في كتاب الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في البيت فأتاه فقرع باب فقدم إليه النبي صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه ، فاعتنقه وقبله ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وهذا دليل أيضاً على أن تقبيل الصالحين سنة متروعة من سنن المرسلين .

وليس التوسل لله بالمقربين شركاً ، ولا حبههم لله وفي الله كفراً ، ألا ترى أن أولاد سيدنا يعقوب عليهم السلام جاءوا إلى أبيهم يتوسلون به إلى الله ، وقالوا : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ فهلا استغفروا لأنفسهم بدون واسطة ؟ وهل كانوا في ذلك مؤمنين أم مشركين ؟ كما يزعمه المنكرون ، وما طلبوا منه أن يستغفر لهم إلا

ليقرّبهم إلى الله زلفى ، وذلك لعلمهم بما له عند الله من القرب  
والخصوصة ، وما عليهم من الذنوب التي تباعد بينهم وبين الله  
وتحول بينهم وبين إجابة دعائهم . وكذلك قال الله تعالى لسيدنا  
في حق المؤمنين من أمته ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
جَاءُواكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوَّابًا  
رَحِيمًا ﴾ ، فانظر إلى قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعنى  
عند محض حصول الذنب منهم والإنسواء ، لأنهم هم المستحقون للشفاعه  
﴿ جَاءُواكَ ﴾ وهم شرط محضتهم إلى النبي ﷺ يعنى المدنيين ،  
ولأنهم هم الذين رددوا وخصموا عنهم لديه قبل ذكر استغفارهم لله ، ثم قال :  
﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ فما الفائدة من ذلك ؟ هل كان لا يمكن  
استغفارهم لله تعالى قبل مجيئهم إلى النبي ﷺ ؟ . ثم قال :  
﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ، ما الفائدة  
من استغفار الرسول لهم ؟ هل كان لا يكفي مجيئهم إلى النبي ﷺ  
واستغفارهم لأنفسهم فيجدون الله تواباً رحيماً ؟ بل ما ذاك إلا  
ليرتدعوا إلى الالتجاء إلى النبي ﷺ إذا أصابتهم مصيبة ، والتوسل  
به وطلب الشفاعه منه لهم بالغفران ليقربهم إلى الله زلفى .

ودد الله تعالى من صدّ عن طلب الاستغفار من رسول الله ﷺ  
وشدّد الحملة عليهم لأن ذاك أكبر علامة المنافقين ، فقال حلّ حلاله  
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ  
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ ، فما أشدّ هذا التوريع ، وما  
امرّ هذا التقرّيع لو كانوا يفقهون .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، أي رحمة لهم ، ومعنى الصلاة الدعاء . وأثنى الله على مؤمني الأعراب بقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَوْمَئِذٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلُّوا عَلَى الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِيقَ إِلَهُكُمْ اللهُ هُوَ رَحْمَتُهُ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فانظر إلى فضل الله ورحمته بالمؤمنين ، كيف يطلب لهم الدعاء من أنبياء ﷺ . ومن لما أن صلوات الرسول قربه ، فالله سبحانه وتعالى يطلب لنا من النبي ﷺ الدعاء ، وهؤلاء المنكرون يقولون : التوسل بالنبي كفسر ، وطلب الدعاء منه ومن غيره من عباد الله الصالحين تروا . فما أحبتهم بكتاب الله وبحق رسول الله ﷺ وسنته ، وقد كان المسلمون يلتجئون إلى النبي ﷺ في كل نازلة فيكشفها الله عنهم بركته . ولو كان ذلك شركاً وكفراً لما أقرهم على ذلك ولزجرهم .

ألا ترى أنه زجر من أراد السجود له ﷺ لما قال : إني رأيت الأعاجم يسجدون لمملوكهم ، وأنت أحق بالسجود منهم ، فقال النبي ﷺ : ( السجود لا يكون إلا لله ) .

فانظر كم الفرق بين التوسل والعبادة فأين الأفهام الصافية هل من المسلمين من إذا زار نبياً أو ولياً سجد له ؟ أو فيهم من يعتقد أن النبي أو الولي إله من دون الله أو أنه ابن الله ؟ هيهات ، أين الفرق بين الفريقين .

فكيف يحرم المنكرون التوسل بالأنبياء والأولياء ، وقد ثبت  
التوسل بصريح الكتاب العزيز ، قال الله تعالى حكاية عن اليهود :  
﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . أي  
يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان  
المنصوت في التوراة ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ . يعني  
محمداً ﷺ ، فإذا كان التوسل به ﷺ ثابتاً قبل المهوره ، فكيف  
ينكرونه بعد ظهوره .

## الاستدلال بآيات في غير محلها الوارد

رجح بعضهم آيات في القرآن وردت في المشركين ويطبقونها على الخواص والعوام من المؤمنين في الرد عليهم ويدخلون إلى الحكمة عليهم رد الكفر فسر بوسيل بالسي <sup>الملك</sup> أو سرك به أو عظمه أو سرجه به <sup>و ر ذاه</sup> ، ويسمون ذلك دعاء للمنادي وقالوا إن الدعاء هذه فهو دعوة لعن الله ، وأنه بذلك صار مشركاً لقوله تعالى : ﴿ وَتَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غافلون وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كُفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

فَطْمِيرٌ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا  
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٠٠﴾  
تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَيْسَ الْمَوْتِ  
عِنكُمْ وَلَا تَحُولُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَسْمَعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْيُسْبَى  
إِيَّاهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْحَبُونَ رَحْمَتَهُ وَيَحَافُونَ عَذَابَهُ أَنْ عَذَابُ رَبِّكَ كَانَ  
مَحْدُورًا ﴾ . وأمر الله الآيات كثر في القرآن وكلها حملة على  
الموحدين

في بعضهم من مناسبات أو نوسل بالشيء أو بغية من  
الشيء . وأما أولئك والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل  
هؤلاء ، مشركين ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات ، وحمل زيارة قبر  
سبي عليه السلام أيضاً مثل ذلك ، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين  
في اعتذارهم عن عبادة الأصنام : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ  
رُفْقَى ﴾ . إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدكم  
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها  
تخلق شيئاً ، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى  
﴿ وَلَمَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَلَمَنْ  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ، فما حكم الله



عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم : ( ليقرّبونا إلى الله زلفى )  
بهؤلاء مثلهم ، هكذا يحتج هذا البعض من الغلاة على المؤمنين ، وهي  
حجة باطلة فإن المؤمنين ما أبدوا الأتساء عنهم الصلاة والسلام ولا  
الأولياء الهة ولا جعلوهم شركاء ، بل هم يعتقدون أنهم عبيد الله  
مخلوقون له ولا يعتقدون استحسانهم العباد ، لا أنهم يحلفون شيناً ولا  
أنهم يمدحون نفعاً أو مبرأ ، وإنما فسدوا الشرك بهم لكونهم أحياء الله  
مترددون في مصافهم واحتياهم ، وسرّكتهم برحم الله عباده

وبدلوا ضواهد كثره من الكتاب والسنة سذكر لك كثيراً منها ،  
وعنفاء المسلمين أن الخالق النافع الصار هو الله وحده ولا يعتقدون  
استحقاق عبادة إلا لله وحده ، ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه ، وأما  
شركوا الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها ، فكانوا يتخذون  
الأصنام آلهة ، والإله معناه المستحق للعبادة ، فهم يعتقدون استحقاق  
الأصنام للعبادة ، فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في  
الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً قالوا ما  
نعددهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ، فكيف يحور هؤلاء ، وأتباعهم أن  
يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية  
الأصنام .

إذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لأنهم لا يعتقدون ألوهية غير الله تعالى ، ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره ، وقد جاء في حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين ، فهذا الوصف صادق على هؤلاء الغلاة المتعنتين الذين يسبون أنفسهم إلى السلف ، والسلف منهم براء (١) .

---

(١) ا هـ بتصرف من شواهد الحق للنبهاني ص ١٥٢ .

## القرآن كلام الله وهو أفضل الكلام بلا خلاف

والمقارنة بينه وبين الصلاة على النبي ﷺ كلمة حق أريد بها باطل

كثيراً ما نسمع بعض الأخوان هداهم الله إلى الصراط المستقيم  
ويور بصائرهم بحب نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

نسمع هؤلاء يعترضون بشدة على من يروونه مشغولاً بالصلاة  
والسلام على سيد السادات وإمام أهل الأرض والسموات سيدنا محمد  
ﷺ تسليماً كثيراً ، ويقولون له إن الاشتغال بقراءة القرآن ويذكر الله  
هو أفضل من الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وهنا يقف  
إيمان حائراً متعجباً مندهشاً أمام هذه الحجة القوية والبرهان الذي لا  
ينكره مسلم ولا يخالف فيه عاقل موحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن  
محمداً رسول الله ﷺ ، بل إن عوام المسلمين ممن لا ينتسبون إلى العلم  
يعرفون هذا ويدركون الفرق بين القرآن وبين الصلاة والسلام على النبي  
ﷺ ، وهو أمر ظاهر واضح لا يشك فيه إلا أعمى البصيرة أو جاهل  
مركب - والعياذ بالله - بعيد عن المجتمع الإسلامي القرآني .

وإني أظن ﴿ وبعض الظن إثم ﴾ أن نية هذا المعترض سيئة وقصده  
خبث ، فهو ما أراد بهذا إلا أن يمنع هذا المحب الصادق من الاشتغال  
بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وأن يستدل على ذلك بهذه الحقيقة

الصادقة ليتوصل بها إلى ذلك المطلوب الفاسد بغضاً وحسداً ، كما هو  
هذا ما هو في ظني وإن كان غير ذلك فأستغفر الله العظم من سوء  
الظن ، وما علم هذا المعرض المكر بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
المواظن التي ورد العصر فيها أفضل ، ولا يقوم معها دعاءها ، وأما  
في غير ذلك فالفرار أفضل ، ويسمى الإكثار من الصلاة بالبلاد ولا  
يعصر في ذلك إلى محروم

وقد أمر حذر في ( شرح العمات ) صلاة العزاق أفضل الذكر  
العدم الذي به يحضر وقت أو محل ، أما ما حص بذلك بأن ورد الشرع  
فيه ولو مر صرح صعب فيما يظهر فهو أفضل لتنحيص الشارع  
عليه هـ وقد في ( حاشية إيضاح المناسك ) عند قول الإمام  
سودي فيه في الباب السادس منه : المسألة الثالثة : يستحب إذا  
توجه إلى زيارته ﷺ أن يكثّر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ،  
فإذا وقع بحضره على أشجار المدينة وحرّمها وما يعرف بها زاد من  
الصلاة والتسليم عليه ﷺ ويسأل الله أن ينفعه بزيارته وأن يتقبل  
منه ، قال قوله ( وأن يكثّر من الصلاة .. الخ ) ، هل الإكثار منها  
أفضل منه بقراءة القرآن أو عكسه ، وكذا يقال في ليلة الجمعة ورحوها  
ما طلب فيه الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ أو هما مستويان ؟  
كل محتمل وكلامهم في باب الجمعة ربما يوميء إلى الأخير ، والظاهر  
أن الإكثار من الصلاة والسلام عليه في ذلك أفضل ، لأن ذلك ذكر  
طلب في محل مخصوص ، وقد قالوا : إن القراءة إنما تكون أفضل من

الذكر الذي لم يحص ، أما ما يخص فهو أفضل منها ، وهذا منه ،  
انتهت عبارته .

وقال الإمام الغزالي : تلاوة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا الذاهب  
إلى الله تعالى فمداومته على الذكر أولى . اهـ .

وقال في ( ذخيرة المعاد ) : قال بعض العارفين إن الحال يختلف  
بحسب اختلاف الذاكر فمضى وحده أنساً صادقاً بالقرآن كان الاشتغال به  
أفضل ، أو غيره من الأذكار فهو أولى ، قال : وهذا مسلك عدل إذ لا  
ريب أنه إذا ظهرت النفس من درن الرعونات ، وصفت من أكار  
العبر والشهوات ، وانجلى عن بصيرتها غشاوة الكشائف المانعة من  
معرفة نورها إلى الحقائق فصارت مدركة لغامض أسرار الغيوب اللاتق ،  
انكتافها لبيا يأذن الوهاب الخالق ، يوافق صاحب هذا النفس الطاهرة  
وإراد الوقت مما يطلبه منه أي نوع كان من قراءة وذكر وصلاة على النبي  
ﷺ ، لأنه حينئذ من رجال ۞ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ  
سُبُلَنَا ۖ ، فليج حضرة القرب من أبواب مفتوحة حسبما يدعو هاتق  
العناية إلى الملاحظة لجميع شؤونه ، فلا يستغرق وقته إلا بما يطلبه منه  
وارده ، فالأولى في حقه بكنه الهمة والقلب الحاضر ، الإقبال على  
تلاوة الكتاب العزيز ، الجامع لأصناف الدلالة على من أنزله تعالى ،  
مراعياً حقوق القرآن معطي التلاوة حقها حافظاً حضرة الحرمه التي  
دعي لها ، وأما الصلاة على النبي ﷺ فهي من أنجح وسائل الطالبين ،

وأنفع الأسباب الموصلة إلى مقامات السابقين ، فينبغي أيضاً اغتنام  
بركتها بالاشتغال بها حسيماً يمكن ، مع كمال الحضور وملاحظة  
المصلى عليه ، والتأهل بالتأدب الحقيقي لما يقتضيه سلطان حصرها  
مما لديه ﷺ .

وأما ما ذكره من الفصلة الاشتغال بالأذكار المخصوصة بوقت  
على الاشتغال بالسلاوة في ذلك الوقت فلا تنافي أفضليه ذات الغرض  
الكرمه على سائر الأذكار كما أفصح به الأحاديث الثابتة المعروفة في  
مظاهرها من كتب السيرة المطهرة ، لأن ثواب اتباعه ثلاثة يربو على ثواب  
الاشتغال بذكر الحكيم كما يصحوا عليه ، وسر ذلك أن جميع الأذكار  
إلى من الله تعالى بها لمعالجة الأمراض الكامنة في بواطن الخلق المكونة  
من سوء اثر الأعيار على صفحات القلوب ، والطبيب أدرى بموقع  
الدواء وبحاجته وإخراج عرق الداء من أصله على ما ينبغي ويليقي ، وهو  
الطيب الأعظم والحكيم الأكرم ﷺ ، فلذلك كان اتباعه أشرف وأجدي  
مما تخيله القاصرون أنه أزكى لديه بحسب ما تقتضيه ظنونهم وتخيـله  
خيالاتهم الغير المعصومة ، وشتان ما بين من عصمه الله في جميع  
أحواله وعلومه وظنونه وتولى في سائر شؤونه ﷺ وبين من جعله هدفاً  
لنبال الخطأ ونوع له أنواع المتشابهات ابتلاء وفتنة ، فمن آمن بأنه ﷺ  
إمام العارفين معرفة صادقة بما يصلح لكل إنسان في كل زمن وما  
يطلبه منه وقته وحاله وما يوجب إسباغ النعم الإلهية ودوامها عليه  
ظاهراً وباطناً عاجلاً وآجلاً صرح بمفهومه وظنونه وعلومه وكشوفاته ،

واعترف بأن الناكب عن سنته في طريق العلوم وسبيل الأعمال وصراط  
الأذكار ومنهج الدعوات وشرعة الإسلام ، يكون محروماً شقيماً وضالاً  
مضلاً تاركاً للإتباع متمسكاً بالإبتداع ، وفقنا الله لاتباعه وجعلنا من  
كمل أتباعه ﷺ ، ا هـ .

وقال الشيخ أبو العباس التيجاني فيما نقله عن إملاته تلميذه علي  
حرازم في ( خواهر المعاني ) عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام  
أخبره عن الله تعالى أنه عز وجل يقول : من صلى عليك صليت  
عليه ، قال ﷺ : وحق لمن صلى الله عليه أن لا يعذبه بالنار .

ومن هذه الحبشية أن الصلاة عليه ﷺ في حق الفاسق أفضل له من  
تلاوة القرآن ، لأنها شافعة له في إفاضة رضا الرب عليه ومحققها  
لذنوبه وإدخاله في زمرة أهل السعادة الأخروية ، ولا كذلك القرآن فإنه  
وإن كان أفضل منها لكنه محل القرب والحضرة الإلهية يحق لمن حلّ  
فيها أن لا يتجاسر بشيء من سوء الأدب ، ومن تجاسر فيها بسوء  
الأدب ، استحق من الله اللعن والطرده والغضب ، لأن حملة القرآن أهل  
الله فيهم مؤاخذون أكثر من غيرهم بأقل من مثاقيل الذر إلا أن تكون  
له من الله عناية سابقة بمحض الفضل فتكون له عصمة من ذلك ، فبان  
لك أن الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة  
القرآن ، فإن القرآن مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء ، وتوفية  
الآداب المرضية والتخلق بالأخلاق الروحانية ، فلذا يتضرر العامة

تلاوته لبعدهم عن ذلك ، وأما العملاة عليه ﷺ فليس فيها إلا  
 التلطف بها باستصحابات عظيم النبي ﷺ بحاله يلقى بنالها من  
 الطهارة الحسنة موباً وحسداً ومكاناً ، ولاونها باللفظ المعهود في  
 الشريعة من غير الحر ، فإن الله سبحانه وتعالى يسمع لئلا يها أن يسمع  
 عليه ، ومن يسمع الله عليه مرة لا بعده أه

### فائدة

سبب الشهادة الرملي هل الأفضل الاستغفار أو الأشهر  
 - صدره و سلام على النبي ﷺ أو يقر بين من علت طاعته فالعلاء  
 به فصل - معاصيه فالاستغفار أفضل ؟

فاح - لا اشتغال بالصلاة والسلام على النبي ﷺ أفضل  
 من الاستغفار مطلقاً . انتهى من فتاويه .

سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين . ص ٣٩ - ٤١



## مقام الخالق و مقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين الكبر والذل ، ويعتمد أن من خلق بين المفسدان قسداً كذب والعدو باللاء

ولكن مقام مخلوق المفسد ، ولكن هناك أموراً تدفع في هذا الباب وخصوصاً شدة برهاني بالنسبة ، وحسناته التي تميزه عن غيره من سائر رفقته منهم ، وهذه الأمور قد شنبه على بعض الناس لفصل شربته وصدقت مدكرهم وصيق نظره وسوء فهمهم ، فيبادرون إلى تركه وذكر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام فثنا منهم أن في ذلك تحييطاً بين مقام الخالق والمخلوق ، ورفعاً لمقام النبي ﷺ إلى مقام الألوهية ، وإثباتاً لبراء إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك .

وأما فضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى ، وما يجب لرسوله ﷺ . ونعرف ما هو محض حق لله تعالى ، وما هو محض حق لرسوله ﷺ ، من غير غلو ولا إطرأ يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية في المنع والعطاء والنفع والضرر الاستقلالي - دون الله تعالى - والسيادة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك والتدبير والتفرد بالكمال والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها .

أما الغلو الذي يعني التفعالي في محبته وطاعته والتعلق به ،  
فهذا محبوب ومطلوب ، كما جاء في الحديث : « لا تطروني كما  
أطرت النصارى اس مريم » .

والمعنى أن إطراءه والتعالي فيه والشاء عليه بما سوى ذلك هم  
محمود ، ولو كان معناه غير ذلك لكان المراد هو النهي عن الإطراء  
ومدحه أصلاً ، ومعلوم أن هذا لا يقوله أحهل جاهل في المسلمين ، فإن  
الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن بأعلى أنواع التعظيم ، فيجب  
عليه أن يعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه .. نعم يجب عليه  
أن لا يصفه شيء من صفات الربوبية ، ورحم الله القائل حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه ﷺ بغير صفات الربوبية شيء من الكفر  
والإشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات ، وهكذا كل من  
عظمهم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم  
أجمعين ، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين ، قال الله  
تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾  
الآية . وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ  
تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ الآية .

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه

السلام ، فإنها أحجار ، وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت  
ومن الركن الشمالي وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام  
وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ، ونحن في ذلك  
كله لم نعبد إلا الله تعالى ، ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضرراً ،  
ولا سبب شيء ، من ذلك لأحد سوى الله تعالى

### مقام المخلوق :

أمر هو ﷺ وقد اعتقد أنه ﷺ بشر يجوز عليه ما يجوز على  
غيره من الشر من حصول الأعراض والأمراض التي لا توجب النقص  
والضعف ، كما قال صاحب العقيدة :

وحائر في حقهم من عرض

بغير نقص كخفيف المرض

وأنه ﷺ عبد لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا  
نشوراً إلا ما شاء الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً  
وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ  
وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .  
الأعراف : ١٨٨ .

وأنه ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة  
وحاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فانتقل إلى جوار ربه راضياً

مرضياً ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

وقال ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ألقان متفهم الخالدون ﴾

والعبودية هو أشرف صفاته ، ولذلك فإنه سبحانه بها يعمل  
« إنما أنا عبد » ووصفه الله بها في أعلى مقام : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي  
سَرَى بِعِبْدِهِ كَمَا لَا يَرَى ﴾ وقال ﴿ وإياه لما هام عند الله بدعوة كادوا  
سكون عبيده لبدأ ﴾ الآية

وسريته هي عس إعجازه فهو بشر من جنس البشر ، لكنه متميز  
سبحه عما يدحفه به احد منهم أو يساويه كما قال ﷺ عن نفسه في  
حديث الصحيح : « إني لست كهيتتكم إني أبيت عند ربي يطعمني  
وسقيني »

وبهذا ظهر أن وصفه ﷺ بالبشرية يجب أن يقترب بما يميزه عن  
عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة ، وهذا ليس  
حاصبا به ﷺ ، بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى  
لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم ، وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية  
المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية ، وفي الفرار شواهد  
كثيرة على ذلك ، فمن ذلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله  
عنهم إذ قال : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا سَرَا  
مُتْلَا ﴾ الآية ، سورة هود : ٢٧ .

ومن ذلك قول قوم موسى وهارون في حقهما فيما حكاه الله عنهم  
إذ قال : ﴿ فَقَالُوا أَنْوَمِ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾  
المؤمنون : ٤٧ .

ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح فيما حكاه الله عنهم بقوله  
﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ سورة  
الشعراء : ١٥٤ .

ومن ذلك قول أصحاب الأتكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم  
يقوله ﴿ تَأْتُوا الصَّالِتِ مِنَ الْمَسْحَرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ  
بَطَلْنَا لَنْ نَكَادِيبَ ﴾ سورة الشعراء : ١٨٦ .

وعن ذلك قول المشركين في حق سيدنا محمد ﷺ لما رأوه يعين  
البصرة المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا  
الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ الآية ، ولقد تحدث  
رسول الله ﷺ عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من  
عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر أنواع البشر .

فمن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال : « تنام عيناى ولا  
ينام قلبي » ، وجاء في الصحيح أنه قال : « إني أراكم من وراء  
ظهري كما أراكم من أمامي » .

وجاء في الصحيح أنه قال : « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض » .

وهو ﷺ وإن كان قد مات إلا أنه حي حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من يصلي عليه وتعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغفر للمسيئين ، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » ، قالوا : يا رسول الله ! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني : بليت ؟ فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

وفي ذلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطي أسماها « إنباء الأذكىء بحياة الأنبياء » عليهم الصلاة والسلام .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم » . قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » . رواه

أحمد وأبو داود .

قال بعض العلماء : رد عليّ روعي أي نطقي .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه ، هذا فلان بن فلان قد صلى عليك » . رواه البرار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق فهو قائم عليّ قبري إذا مت ، فليس أحد يصلي عليّ إلا قال : بامحمد ! صلى عليك فلان بن فلان ، قال : فيصلي الرب تبارك وتعالى عليّ ذلك الرجل بكل واحدة عشرأ » رواه الطبراني في الكبير بنحوه .

وهو ﷺ وإن كان قد مات إلا أن فضله ومقامه وجاهه عند ربه ياق لا شك في ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ، ولذلك فإن التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى إنما يرجع في الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك المعاني واعتقاد محبته وكرامته عند ربه وإلى الإيمان به وبرسالته ﷺ ، وليس هو عبادة له ، بل إنه مهما عظمت درجته وعلت رتبته فهو مخلوق لا يضر ولا ينفع من دون الله إلا بإذنه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ .

## أشور مششركة بين المقامين لا تنافى التنزيه

وقد أخطأ كسر من الناس في فهم بعض الأمور المششركة بين المقامين مقام الخلو ومقام المخلوق فظن أن سببها إلى الله المخلوق سرر بالله تعالى.

ومرر بمر بعض المقامات السوية مثلاً التي تخطى بعضهم في فهم نفسية مقامات الشريعة ، ولذلك يستكثرونها ويستعظمونها على رسول الله ﷺ ، ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية وهذا جهل محض لأنه سبحانه وتعالى يعطي من يشاء وكما يشاء . لا موجب ملزم ، وإما هو تفضل على من أراد إكرامه ورفع مقامه وإظهار فضله على غيره من البشر وليس في ذلك انتزاع لحقوق الربوبية وصفات الألوهية ، فهي محفوظة بما يناسب مقام الحق سبحانه وتعالى ، وإذا اتصف المخلوق بشيء منها فيكون بما يناسب الشريعة من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته ، لا بيهوده المخلوق ولا تدبيره ولا أمره ، إذ هو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وكم من أمور جاء ما يدل على أنها حق لله سبحانه وتعالى ، ولكنه سبحانه وتعالى من بها على ربه ﷻ وعبره .



وحسب فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية أو يجعله شريكاً  
 لله سبحانه وتعالى فمنها : الشفاعة ، فهي لله ، قال الله تعالى :  
 ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ وهي ثابتة للرسول ولغيره من الشفعاء بإذن الله  
 كما جاء في الحديث « أوسط الشفاعة »

وحديث « أنا أول شافع ومستمع »

ومنه علم الغيب ، فهو لله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وقد ثبت أن الله تعالى  
 علمه سره من غيب ما علمه وأعطاه ما أعطاه ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا  
 يَبْصُرُ عَمَّا عِنْدَهُ حَدًّا إِلَّا مَنْ ارِضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ الآية

وعنه هداية فهي خاصة بالله تعالى ، قال الله تعالى :  
 ﴿ لَا تَهْدِي مَنْ حَبَّبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، وقد جاء  
 له عتق له شيء من ذلك ، فقال : ﴿ وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴾ والهداية الأولى غير الهداية الثانية ، وهذا إنما يفهمه  
 العقلاء من المؤمنين يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك  
 لاحتاج أن يقول : وإنك لتهدي هداية إرشاد ، أو أن يقول : إنك  
 لتهدي هداية غير هدايتنا ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، بل أثبت له  
 هداية مطلقة بلا قيد ولا شرط ، لأن الموحدين منا معشر المخاطبين من  
 أهل الإسلام يفهم معاني الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما  
 أحصى إلى الله ، وبالنسبة لما أضيف إلى رسول الله ﷺ ، وبظير هذا

ما جاء في القرآن من وصف رسول الله ﷺ بالرافة والرحمة ،  
 إذ يقول : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية ، ووصف الله سبحانه  
 وتعالى نفسه بذلك أيضاً في أكثر من موضع ، فهو سبحانه وتعالى  
 ﴿ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ومعلوم أن الرافة والرحمة الثانية غير الأولى ،  
 ولما وصف به ﷺ بذلك الوصف وصفه به بالإطلاق بلا قيد ، لا  
 شرط ، لأن المحاطب وهو موحد مؤمن بالله يعلم الفرق بين الخالق  
 والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول في وصفه ﷺ : رؤوف برأفه  
 غير رأفته ، ورحمه برحمه غير رحمتنا ، أو أن يقول : رؤوف برأفة  
 حصه ، ورحمه برحمه خاصة ، أو أن يقول : رؤوف برأفة بشرية ورحيم  
 برحمه عينية ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، بل أثبت له رافة  
 مصنقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط ، فقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ  
 رَحِيمٌ ﴾ الآية

## المجاز العقلي واستعماله

ولا شك أن المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا نَكَبْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَادُّهُمْ إِيْمَانًا ﴾ ، فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة ، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمًا نَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ ، فإسناد الجعل إلى السوء مجاز عقلي ، لأن اليوم محل جعلهم شيباً فالجعل المذكور واقع في اليوم ، والحاعل حقيقة هو الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ ، فإن إسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الإضلال ، والهادي والمضل هو الله تعالى وحده .

وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِي صِرْحًا ﴾ ، فإسناد البناء إلى هامان مجاز عقلي لأنه سبب فهو أمر يأمر ولا يبني بنفسه ، والبناء إنما هو الفعلة من العمال ، وأما الأحاديث ففيها شيء كثير يعرفه من وقف عليها ، وكان ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها ، وقال العلماء : إن صدور ذلك الإسناد من موحد كافٍ في جعله إسناداً مجازياً ، لأن

الاعتماد الصحيح هو اعتماد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده ، فهو الخالق للعباد ، وأفعالهم ، لا يأتس لأحد سواه لا الحي ولا الميت ، فهذا الاعتماد هو التوكل المأمور ، بخلاف ما لم يعتمد به عباده ، نعم هو المأمور

### ضرورة ملاحظته المسببة في مقياس الكفر والإيمان

يرى محقق ضوابط من أهل الصلوات بذيل شبهة فتواه اللاحقة  
 يرى بغيره من مفرات والمقاصد وبدون نظر إلى الجمع بما لا يؤدي إلى  
 استعراض من إوارد كالقائلين بخلق القرآن تمسكوا بنحو قوله تعالى  
 ﴿ مَا جَعَلَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، والقائلين بالقدر تمسكوا بنحو قوله  
 تعالى ﴿ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ و ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ إلى غير  
 ذلك والقائلين بالحر تمسكوا بنحو قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا  
 تَعْمَلُونَ ﴾ . ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ الآية .

وكشف الغطاء ، عن ذلك أن جميع الأمة غير القدرية على أن أفعال  
 العباد مخلوقة لله تعالى لقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الآية ،  
 وقوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ الآية ، وإن  
 كان يجوز أن يوصف بها العبد على وجه آخر من التعلق بغيره  
 بالاكْتِسَاب كما في قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا  
 اكْتَسَبَتْ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الآية  
 غير ذلك من الآيات المصرحة بإضافة الكسب إلى العبد ، وليس

من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، لأن قدرة الله تعالى في الأزل كانت متعلقة بالعالم قبل اختراعه لوجوده ، وهي عند اختراعه متعلقة به بسبب وقوعه من التعلق .

### حقيقة نسبة الأفعال للعباد :

ومن هذا يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها ، والأفعال العبادية سميها إليهم على طريق النسبة لا الاختراع ، لأن الله تعالى هو المخرج لها والمقدر لها والمريد لها ، ولا يريد أنه كيف يريد ، بل هو الذي أمر بغيرها والإرادة بدليل أمره جميع الناس بغيره . وأنه يريد من أكثرهم ، لقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس رجلاً ﴾ . ونحو حرصت بمؤمنين ﴿ الآية ، فنسبة الأفعال إلى العباد من نسبة السبب إلى السبب أو الوساطة ، وهذا لا منافاة فيه ، لأن مسبب الأشياء هو الذي خلق الوساطة وخلق فيها معنى الوساطة ، ولولا ذلك الذي أودع الله تعالى فيها لم تصلح أن تكون واسطة وسواء كانت مما لم يودع العقل كالجماد والأفلاك والمطر والنار ، أو كانت عاقلة من ملك أو إنسي أو جني .

### اختلاف المعنى باختلاف النسبة اللفظية :

ولعلك تقول : لا تعقل نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فنقول : نعم ، هو كما قلتم لكن محله

إذا لم يكن للفاعل إلا معنى واحد في الاستعمال .

أما إذا كان له معنيان ، فيكون الاسم محملاً منردداً بينهما في  
الاستعمال ، وحسب ما يحسم إطلاقه على كل منهما كما هم المعلوم من  
الاستعمال في الأسماء ، المسبوكة أو في الحفصة والمجاز ، كما يقال  
قتل المرء فلان ، وقول : قتل السيف ، فإطلاق القتل على الأسماء  
معنى غير معنى يرى أطلقوه على السيف ، فقولنا : إن الله تعالى  
دع عن معنى : المخترع الموجد ، وقولنا : إن المخلوق فاعل فمعناه  
أنه محل يرى حو الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة ، بعد  
ارتباطه الله ، فارتباط القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط  
معين ، نعت وارتباط المخترع بالمخترع ، هذا إذا كان المحل عاقلاً وإلا  
فهو من ترتيب المسببات على أسبابها ، فصح أن يسمى كل ما له  
ارتباط قدرة فاعلاً كيفما كان الارتباط ، كما يسمى السيف قاتلاً  
باعتبار : والأمير قاتلاً باعتبار ، لأن القتل ارتبط بكليهما ، وإن كان  
ارتباطه على وجهين مختلفين ساغ تسمية كل منهما فاعلاً ، فمثل  
ذلك اعتبار المقدورات بالقدرتين ، والدليل على جواز هذه النسبة  
وتطابقها نسبة الله تعالى الأفعال إلى الملائكة تارة ، وتارة إلى غيرهم  
من العباد ، ومرة أخرى نسبها بعينها إلى نفسه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ  
يَسُوْفَاكُم مِّلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ اَللّٰهُ يَتَّوَفَّاىِ  
الْاَنفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ اَفَرَاَيْتُمْ مَا  
نَحْرَثُوْنَ ﴾ الآية ، بالإضافة إليهم ، ثم قال : ﴿ اَلَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ،  
ثُمَّ شَقَقْنَا الْاَرْضَ شَقًّا ، فَاَنْتُمْ فِيْهَا حِبَا ﴾ الآية : ، وقال تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، وقال تعالى :  
﴿ فَنفخنا فيها من رُوحنا ﴾ الآية ، فأُسند النفخ إليه مع أن النافخ  
هو جبريل عليه السلام ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا فَرَغْنَا مِنْ تَجْوِيزِ قُرْآنِهِ ﴾  
والقارئ الذي يسمع النبي ﷺ قراءته هو جبريل ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمْ  
نَقْلُوهُمْ فِي الْبَاقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ يَسْمَعُ الْكُفَّارَ ﴾ ولكن الله رضى  
الآية تسمى عندهم الفضل وأتبعه لسانه ، والحق عند الرضى ، أثبت  
بهم وليس المراد رضي الحسن من قتلهم الكفار ، ورضيه لهم عليه  
صراحة ولسلام بالخصم ، ولكن المعنى أنهم ما قتلوههم ولا رضىهم  
بمعنى الذي يكون الرب به قتلهم ورماهم وهو الاختراع والتقدير ،  
إذا هم عنيان مختلفان ، وتارة ينسب الفعل إليهما معاً كقوله  
تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُ رَاضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ  
سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية .

فروت عائشة رضي الله عنها : أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن  
يخلق الجن يبعث ملكاً فيدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها  
جسداً ، فيقول : يارب ! أذكر أم أنثى ؟ أسوي أم معوج ؟ فيقول  
تعالى ما شاء ، ويخلق الملك ،

وفي لفظ آخر : فيصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو  
بالشقارة .

فإذا فهمت هذا اتضح لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة

ولا تناقض بينهما ، ولذلك الفعل منسب تارة للجماة ، كما في قوله تعالى ﴿ تَوْنِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا ﴾ الآية ، فالشجرة لا تنأى عنها الأسرار بثمرها ، وكما في قوله ﷺ للذي تناول ثمره حدها ، لو لم يثمر لأفك الحديث كما في الطيماني ، ابن حبان في صحاحه ، وسار بصرف الهمز الرحل وإليه السند لمعنى أنما السند عند معمر بن وهب بن زريق في أخبار مشهورين معاران مختلفين في الأسماء فخرجوا عن معنى الرحل بمعنى أن الله خلق فيه العدد ، لا أنه لا يفسد به ، وسار بمعنى أن الله بسبب من يأتي بها ، والخلفه من غير صحاحه ، وسار إلى الله تعالى في كل منهما ، ولأجل اختلاف المعنى في تارة يكون ملاحظة الوسائط في الأفعال كفرا كما في جواب ذر بن موسى عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ إِنَّمَا أَوْتِيَتْهُ عَلَى عَدَايَ ﴾ الآية وكما في حديث : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » فما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب « وهذا الكفر باعتبار أن الوسطة مؤثرة ومختصرة .

قال النووي : اختلف العلماء في كفر من قال : مطرنا بنوء كذا على قولين . أحدهما : هو كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام ، قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدير مشي للمطر ، كما كان بعض أهل الجاهلية برعم ، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره ، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير



للعلماء ، والشافعي منهم وهو ظاهر في الحديث ، قالوا وعلى هذا لو  
قال مطربا سوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته ، وأن النوى  
مغاب له وعلامته اعتبارا بالعادة ، فكأنه قال مطربا في وقت كذا ،  
لهذا لا يكفر

واختلفوا في كراهية لكسها كراهية سريه لا إنهم فيها ، وسبب  
لكراهية أنها كسبه سرور ، سر الكفر ، سره ، فسواء الظن بمصاحبتها ،  
وأنه سر الخفية ومن سبب مسئلتهم

وأنهم سر سر سر صل - وأول الحديث أن المراد كفر بعمة الله  
بسر - أقصده عن صفة العيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد  
بسر - كوكب - ونريد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب : أصبح  
من سر - كوكب - وفي الرواية الأخرى : ما أنزل الله تعالى من  
سب - من مركبة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، فقوله .  
بها ، سر على أنه كفر النعمة ، والله أعلم . اهـ .

والخاصل أن من نسب الفعل إلى الوسطة لا يكفر إلا إذا اعتقد  
أنها هي الفاعلة المدبرة المخترعة ، وإذا لم تكن ملاحظة الوسطة بهذا  
الاعتبار بحيث أن الوسطة علامة أو ظرف الخلق المقدور فيها فلا كفر ،  
بل تارة يتدب الشرع إلى ملاحظتها كقول النبي ﷺ : « من أسدى  
اليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم  
قد كافأتموه » .

وقوله ﷺ . « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

وذلك لأن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار لا ينافي رؤية المسألة لله سبحانه وتعالى ، وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم ، بل وأثابهم عليها وهو الباعث لإرادتهم لها ، والمخالق لمدرهم عليها كقوله تعالى : ﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ شَدِيدُ فَلَجٍ مِنْ رَبِّهَا ﴾ الآية

والظاهر أن الفعل يستعمل على وجه مختلف فلا تنافي بينه وبين غيره ، فالمعنى : الفهم الصحيح السليم

فإنه ليس من المعاني ، والعبادات ، والعبادة ، أو مع من الخلق والرب ، وهو رفيع مع حقيقته اللفظ دون المجاز ، لم نجد إلى الجمع منصوص أو لفرقه من حواز ، ألا ترى إلى ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قوله : ﴿ رَبِّ انصُرْ أَصْحَابِي ﴾ ، الآية ، أتري إبراهيم يشرك مع الله تعالى الخلق وهو الخلق ؟ ﴿ اتَّعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ولا من جامع في ذلك أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره في الاحتراع وتأثير فهو مشرك ، سواء كان الملحوظ معه جماداً أو آدمياً نبياً أو غيره ، ومن اعتقد السببية في شيء من ذلك اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالى لها سبباً لحصول مسبباتها ، وأن الفاعل هو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سبباً ، لأن حفظاً في السبب لا في المسبب الخالق المدبر جل جلاله وعظم شأنه .

## التعظيم بين العبادة والأدب

حظي كثير من الناس في فهم حقيقة التعظيم وحقيقة العبادة ،  
بخلطون بينهما خلطاً شديداً ويعتبرون أن أي نوع من أنواع التعظيم هو  
عبادة للمعظم . والقديم ، وقيل البد ، وتعظيم النبي ﷺ سيدنا  
ومولانا . والتوفيق لهما في الربارة شاذ ، وفار ، وحسوع ، كل ذلك  
غير عديم بؤدى إلى العبادة لقسم الله تعالى ، وهذا في الحقيقة جهل  
بمعنى العبادة ، ولا رسوله ﷺ ، وكلّف بأبواب روح الشريعة  
والأدب .

ثم إن ور الخس الإنسانى ، وأول عباد الله الصالحين من هذا  
حسب أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له إكراماً وتعظيماً لما آتاه من  
عنه وعلاماً له . حطفائه من بين سائر مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ وَادَّ  
قُلُوبُ الْمَلَائِكَةِ إِسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ، قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ  
خَلَقْتُ صِيناً قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴿ الْآيَةُ . وفي آية  
خرى قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الْآيَةُ ،  
وفي آية أخرى ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ  
مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ فالملائكة عليهم السلام عظموا من عظمه الله ،  
وإبليس تكبر أن يسجد لمن خلق من طين ، فهو أول من قاس  
الدين برأيه وقال : ( أنا خير منه ) ، وعلل ذلك بعله خلقه من نار

وخلق آدم من طين ، وأنف من تكريمته عليه واستشكف من السجود له ، فهو أول المتكبرين ولم يعظم من عظمه الله ، فطرد من رحمة الله لتكبره على هذا العبد الصالح وهو عن التكبر على الله ، لأن السجود إنما هو لله إذا هو بأمره ، وإنما جعل السجود له تشريفاً وتكهماً له عليهم ، وكان من الموحدين فلم ينفعه لوحده .

ومما جاء في معظم الصالحين قول الله تعالى في حق يوسف عليه السلام : ﴿ وَرَفَعَ آيُوْبُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا ﴾ الآية ، تحية وتكرماً وتشريفاً وتعظيماً له عليهم والسجود من إخوته له إلى الأرض يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّوا ﴾ ، ولعله كان جائزاً في شرعهم أو كسجود الملائكة لآدم عليه السلام تشريفاً وتعظيماً وامثالاً لأمر الله تأويلاً لرؤيا يوسف إذ رؤيا الأنبياء وحي .

أما بينا محمد ﷺ فقد قال الله تعالى في حقه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاحِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الآيات الثلاث ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾ الآية ، ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام ، قال سهل بن عبد الله : لا تقولوا قبل أن يقول ، أي لا تتكلموا قبله ، وإذا قال

رَسَمُوا لَهُ وَأَنصَتُوا ، وَقَالَ : نَهَوَا عَنِ التَّقَدُّمِ وَالتَّعَجُّلِ بِقَضَاءِ أَمْرِ  
 مِنْ قَضَائِهِ فِيهِ ، وَأَنْ يَفْتُوا بِشَيْءٍ ، فَيُذَكَّرَ مِنْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَمْرِ  
 بِهِمْ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا يَسْفُودُ بِهِ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَحَذَرَهُمْ مِنْ مَخَالَفَةِ ذَلِكَ  
 بِقَالَ : \* وَأَمَّا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ سَمِعَ عِلْمٌ \* ، قَالَ السَّلْمِيُّ : اتَّقُوا  
 بِهِ فِي إِحْدَى حَقِّهِ ، وَدَسَّعَ حُرْمَتَهُ إِنْ دَسَّعَ لِقَوْلِكُمْ ، عِلْمٌ بِفَعْلِكُمْ ،  
 بِهِ بِهِمْ عَرَّ رَفَعَ الْقُصُوفَ قُصُوفَ دَسَّعَ وَالْجَهْدَ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا بِهِ  
 بِفَعْلِهِمْ لِقَصْرِ وَرَفَعَ دَسَّعَ ، وَقَالَ : كَمَا سَادَ بِفَعْلِهِمْ بِفَعْلِهِ  
 رَسَمَ ، فَدَسَّعَ بِرَفْعِهِ دَسَّعَ ، أَيْ لَا يَسْلُفُوهُ بِالْخَلَاءِ ، بِفَعْلِهِمْ لَهُ  
 بِخَطِّهِمْ وَدَسَّعَ دَسَّعَ ، رَسَمَ نَدَاءَ بِفَعْلِكُمْ لِبَعْضٍ وَلَكِنْ عَظُمُوهُ وَدَسَّعُوهُ  
 رَسَمَ ، بِخُفِّهِمْ أَوْ بِحَدِّهِمْ أَوْ بِنَادِي بِهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَسِيَّ اللَّهِ ، وَهَذَا  
 كَثُورُهُ فِي آيَةِ الْأُخْرَى : \* لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ  
 بَعْضِكُمْ بَعْضًا \* آيَةِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تَخَاطَبُوهُ إِلَّا مُسْتَفْهِمِينَ ، ثُمَّ  
 حَذَرَهُمْ لَنْدَ تَعَالَى بِحَبُوطِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَحَذَرَهُمْ مِنْهُ ..  
 وَآيَةُ بَرَلَتْ فِي حِمَاةِ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَنَادَوْهُ بِأَمْرٍ خَرَجَ إِلَيْنَا ،  
 فَدَسَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَهْلِ وَوَصَفَهُمْ بِأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي  
 مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سَأَلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي  
 مِنْهُ . ( رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ ، كِتَابُ الْإِيمَانِ بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ  
 بِهِمْ مَا قَبْلَهُ )

وروى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع أحد منهم إليه يده إلا أبو بكر وعمر ، فإنهما كانا ينظران إليه وسطر إليهما : ويسلمان الله ويسلمهم لهما

وروى أسامة بن شريك قال : أسب السي نالهم ، وأصحابه حوله كفى على رؤوسهم الضمر ، وفى صفه : إذا تكلم أطرق جلساءه كان على رؤوسهم لظفر

وقد عروا من مسعود حين وجهته قريش عام الحديبية إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، وكانوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تنقوها بأكفهم فدلکوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، فلما رجع إلى قريش قال : يامعشر قريش ! إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه .

وفى رواية : إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً .

وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أسامة بن شريك رضي

الله عنه قال « كنا حلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ، ما ينطق منّا منّا كلمة إلا جاءه أناس فقالوا من أحب عباد الله إلى الله تعالى ؟ قال أحبهم خلقاً » ( كذا في التلخيص ج ٤ ص ٨٧ ) . وروى في الفهرست في حال جمع بهم في الصحيح

و حرج سبه عن الزهري قال « حدثني من لا أتهم من أن رسول الله ﷺ كان إذا توصاً أو تنخم ابتدروا بخامته فمحوها بوجوههم وحلودهم ، فقال رسول الله ﷺ : لم تفعلوا هذا ؟ قالوا بتمس به البركة ، فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن يحبه الله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ حاره » ( كذا في التلخيص ج ٨ ص ٢٢٨ ) .

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لابد من ملاحظتهما ، أحدهما : وحب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق ، والثاني : أفراد الربوبية واعتقاد أن الله تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه ، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من

مرتبه فقد عصى أو كفر .

وأما من بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ، ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً ، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط .

وإذا وجد شيء كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجهت حماة على المحار المعلنين ولا سبيل إلى تكفيرهم ، إذ المجاز العقلي يستعمل في الكتاب والسنة



## الواسطة الشركية

يحطون كثير من الناس في فهم حقيقة الواسطة فيطلقون الحكم هكذا خطأ بأن الواسطة هي أن ، وأن من اتحد واسطة ماى كعبته كانت فقد اثرت بالله . وأن سره في هذا الشأن المشركين الغافلين 4 ما بعدهم لا يقررون إلى الله رلقى 4 ، وهذا الكلام مكرر . وأما سره في سر محله ، وذلك لأن هذه الآلهة الخدمية مسيحية في تذكر عسى المشركين عبادتهم للأصنام واتحادها الله من دونه عسى يتركهم . هـ في دعوى الربوبية على أن عبادتهم لها تقرهم إلى الله رلقى ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهذه المسألة قد بسطنا القول فيها في بحث ( ما نعبدكم إلا ليقررون إلى الله رلقى ) ، وحاصل ذلك وهو ما تفيدته الآية هو أن الواسطة تنقسم إلى قسمين ؛ واسطة شركية وواسطة إيمانية أو قل واسطة معبودة وواسطة محبوبة أو قل واسطة ممنوعة وواسطة مشروعة .

فالواسطة الأولى وهي الشركية المعبودة المسموعة هي التي كان يتخذها المشركون ويعتقدون أن هذه الواسطة تقرهم من الله زلفى فيوحون العمل والقول والطلب من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك بنية العبادة لمن اتخذوهم أرباباً ومعلوم أن الأعمال والأقوال لا تكون عبادة

إلا إذا قاربها اعتقاد الربوبية أو اعتقاد خصيصة من خصائصها في معبوداتهم وهم وإن لم يعتقدوا لأربابهم خلقاً ولا رزقاً ولا تدبيراً للأمور العظام فإنهم يعتقدون فيهم بعض خصائص الربوبية بإثبات المشيئة الباقية لهم في أمور أهل الأرض بالتصرف فيهم استقلالاً تفعا وضراً ونصراً وإعطاءً وسعاً وشراءً في الملك والربوبية والمودع شفاعتهم عليه تعالى بحكمه شرائكتهم في الربوبية كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أَدْعُ الَّذِينَ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِهِ لِيُشْفَعُوا عَلَيْنَا وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا فِي أَعْيُنِنَا ﴾ .  
دلالة على أن دعاء المشركين كان مصحوباً باعتقاد المشركين لألهمتهم صفات الربوبية من ضر ونفع .

أما الوساطة الثانية وهي الوساطة الإيمانية فهي الوساطة المشروعة المحبوبة المطلوبة ، وهذه الوساطة لا بد منها وينبغي عليها أمر الكون وتقوم عليها الشرائع والديانات .

ومن هذه الوسائط الرسل والأنبياء والملائكة وما أمرنا بالرجوع إليه والتوسل به إلى الله محبة ومودة لا عبادة واعتقاداً ويدخل في ذلك توسلات الموحدين وجعل الأنبياء والصالحين واسطة بينهم وبين الله في قضاء الحوائج والشفاعة .

وهؤلاء لم يوجهوا ذلك إلى الوسيلة بنية العبادة له ولا باعتقاد أنهم أرباب ولا باعتقاد أن لأحد مع الله فعلاً أو تركاً بل مجرد أسباب للطلب منه تعالى بواسطتهم دعاء وشفاعة وتوسلاً إليه بأنبيائه

وبالصالحين ويحسون الله بالعبادة دون غيره ويعتقدون أنه المالك للصر  
والنعم ولكل خصائص الرتبة

الآن يرى أن الله لما أمر المؤمنين بأعمال الكعبة في صلاتهم  
برحبها بعبادتهم إليها واحدها قلبه ، وليس العبادة لها ، وتقبل  
عمر الأسود الذي هو عبادة الله تعالى ، وأما بالنبي ﷺ ، والبر  
قد مر المستمر من العبادة لهما لكان مشرقاً كعبه الآخر

تهد ، وسعة لاند منها وهي ليست شركاً وليس كل من اتخذ  
سيرة ربه وسعة يعتبر مشركاً ، وإلا لكان البشر كلهم مشركين  
ربه لأن موره جميعاً تنسب على الواسطة ، فالنبي ﷺ تلقى القرآن  
وسعة حبريل ، فجبريل واسطة للنبي ﷺ ، وهو ﷺ الواسطة  
معصية للصحة رضي الله تعالى عنهم ، فقد كانوا يفرعون إليه في  
شدائد فيشكون إليه حالهم ويتوسلون به إلى الله ويطلبون منه  
الدعاء ، فما كان يقول لهم أشركتم وكفرتم فإنه لا يجوز الشكوى إلى  
ولا الطلب مني بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسالوا بأنفسكم فإن الله  
أقرب إليكم مني ، لا ، بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن  
المعطي حقيقة هو الله ، وأن المانع والباسط والرازق هو الله ، وأنه ﷺ  
يعطي بإذن الله وفضله ، وهو الذي يقول : « إنما أنا قاسم والله  
معطي » ، وبذلك يظهر أنه يجوز وصف أي بشر عادي بأنه فرج الكربة  
نفسى الحاجة أي كان واسطة فيها ، فكيف بالسيد الكريم

والنبي العظيم أشرف الكونين وسيد الثقلين وأفضل خلق الله على الإطلاق ؟ ألم يقل النبي ﷺ كما جاء في الصحيح : « من فرح عن مؤمن كرهه من كره الدنيا » إلخ ؟ فالمؤمن ملجأ الكربات

ألم يقل ﷺ « من قسسى لأحد حاجة كتب وأقلماً بعد ميراثه فإن ربح وإلا شوه له » ؟ فالمؤمن قاض للحاجات .

ألم يقل في الصحيح : « من ستر مسلماً » .. الحديث ؟

ألم يقل النبي ﷺ : « إن لله عز وجل خلقاً يفرع إليهم في حاج » ؟

ألم يقل في الصحيح : « والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » ؟ .

ألم يقل في الحديث : « من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وتسعين حسنة » ؟ رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي .

فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى وستر وفرع إليه مع أن المفرج والقاضي والستار والمعين حقيقة هو الله عز وجل ، لكنه لما كان واسطة في ذلك صح نسبة الفعل إليه .

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن أهل الأرض بالمستغفرين وعمار المساجد ، وأن الله سبحانه وتعالى يرزق بهم أهل الأرض

ويعصروهم ويصرف عنهم السلا والفرق .

روى الطبراني في الكبر والسهقي في السنن عن مانع الديلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال قال النبي ﷺ : « لولا عباد لله ركع وصلاه ربيع ومياه ربيع لغدت ملائكة العذاب مصاً ثم رضى رضى » .

وروى السجستاني عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أهل سبعين سنة من أهل النار ، فوالأبي علقم » .

وروى السجستاني وصححه الحاكم في السنن ، رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « لعلك تروق به » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفرع إليهم الناس في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله تعالى » ، رواه الطبراني في كبر وأبو يعين والقضاعي وهو حسن .

وعن حابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم » . أخرجه ابن حريز في تفسيره ٢ / ٣٤١ ، وأخرجه النسائي في الموعظ من السنن الكبرى كما في التحفة ١٣ / ٣٨٥ ، ورجال إسناده رجال الصحيحين غير شيخ النسائي وهو ثقة وفيه كلام .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الضالع عن مائه أهل بيت من حرانه بلاء » ثم قرأ ابن عمر ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾  
الأثر رواه الطبراني

وعن سفيان بن عيينة قال : « لا يزال فلككم يسعد بهم - ينصرون بهم - ينظرون بهم - يترقبون حتى يأتي أمر الله »

وعن عروة بن الرضا رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « الأبدال في عسى - لا تنصرون ، بهم تترقبون وبهم تنصرون »  
ورواه الطبراني

ذكر هذه الأحاديث الأربعة الحافظ ابن كثير في التفسير عند قوله تعالى ﴿ ونولاً دفع الله الناس ﴾ - في سورة البقرة - وهي صالحة للاحتجاج ، ومن مجموعها يصير الخبر صحيحاً .

وعن أسد قال : قال رسول الله ﷺ : لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل حليل الرحمن ، فبهم تسقون وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر .. رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ( كذا في مجمع الزوائد ج ١٠ / ٦٢ ) .

### الواسطة العظمى :

وفي يوم المحشر الأعظم الذي هو يوم التوحيد ويوم الإيمان يوم

يبرز العرش ، يظهر فضل الوساطة العظمى صاحب اللواء المعقود  
والمقام المحمود والخوض المورد الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا  
تضيع ضمانته عند من وعده بأن لا يخيب ظنه ولا يخزيه أبداً ولا  
يخزونه ولا يسوؤه لمي أمته حيث يتوجه الخلق إليه ويستشفون به فيقوم  
فلا مرجع إلا بخلعة الإحسان وتاج الكرامة المشعل لمي قول الله له : «  
يا محمد ارفع رأسك واسمع نفع وسيل بعدك » .

## حديقة الأشاعرة

وَيُخْبِرُ كَثِيرًا مِّنْ أَسْمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَا هَبَّتِ الْأَنْفُسُ مِنْهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ  
هُمْ أَحَدًا عَرَفَهُ إِلَّا خَصَّ بِهِمْ فِي أَمْرِ الْعَمَلِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِالسُّعْيِ فِي  
سَمْعِهِمْ ، وَنَفْسُهُ فِي مَرْصَدِهِ الْمُرُورِ مِنَ الدُّنَى وَالْإِلْحَادِ فِي مَقَاتِلِ

وهو خهر مدع الأفاعرة سب تمزق وحدة ( أهل السنة )  
 رشتت شملهم حتى غدا بعض الجهلة يجعل ( الأفاعرة ) صم  
 صوت هل الصلار ، ولست أدري كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل  
 الصلار ، وكيف يساوي بين أهل السنة وبين غلاة المعتزلة وهم  
 الجهمية .

﴿ فَنَجْعِدُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

الأشاعرة : هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين الدرس ملا علمهم مشارق الأرض ومغاريها ، وأطبق الناس على فضلهم وعلمهم ودينهم ، هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائها الأفاضل الدرس وقفوا في طغيان المعتزلة .

هم الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية والعلماء



أنصار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين ( الفتاوى الجزء الرابع )

إبهم طوائف المحدثين والفقهاء ، والمفسرين من الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام أحمد ابن حنبل القسطلاني ، شرح المحدثان بلا مراء ، صاحب كتاب ( فتح الباري على شرح البخاري ) أشعري المذهب وكتابه لا يستغني عنه أحد من العلماء .

وشيوخ علماء أهل السنة الإمام النووي صاحب ( شرح صحيح مسلم ) وصاحب المصنفات الشهيرة أشعري المذهب .

وشيوخ المفسرين الإمام القرطبي صاحب تفسير ( الجامع لأحكام القرآن ) أشعري المذهب .

وشيوخ الإسلام ابن حجر الهيتمي صاحب كتاب ( الزواج عن إقرار الكافر ) أشعري المذهب .

وشيوخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت زكريا الأنصاري ( أشعري المذهب ) .

والإمام أبو بكر الباقلاني والإمام القسطلاني والإمام النسفي والإمام الشربيني وأبو حيان النحوي صاحب تفسير ( البحر المحيط ) ، والإمام ابن جزى صاحب ( التسهيل في علوم التنزيل ) إلخ .. كل هؤلاء من أئمة الأشاعرة .

ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء من أئمة الأشاعرة لصاق بما الحال واحتجنا إلى مجلدات في سرد أولئك العلماء الأفاضل الذين سلا علمهم مشارق الأرض ومغاربها . إن من الواجب أن سرد الحميل لأصحابه وأن يعرف الفضل لأهل العلم والفضل الذين خدموا شريعة سيد المرسلين ﷺ من العلماء الأعلام .

وأى خير برحى فسا إن رمنا علماءنا الأعلام وأسلافنا الصالحين سائرهم والبطلان ؟

وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيهم التزوير والتزيع عن طريق الإسلام .

إنسى أقول : هل يوجد بين علماء العصر من الدكاترة والعباقرة ، من يقوم بما قام به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي ، من خدمة السنة النبوية المطهرة ، كما فعل هذان الإمامان الجليلان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ؟

فكيف نرميهما - وسائر الأشاعرة - بالضلالة ونحن بحاجة إلى علوم هؤلاء ؟!

وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا على ضلال ؟ ، وقد قال الإمام ابن سيرين رحمه الله : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

أفما كان يكفي أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطأوا في تأويل الصفات ، وكان الأولى أن لا يسلكوا هذا المسلك ، بدل أن يرميهم بالزيف والضلال ، وبغضب على من عداهم من أهل السنة والجماعة

وإذا لم تكن الإمام النووي والعسقلاني والفرطبي والباقلاني والمغفر السرازي والبهتسي وركريا الألساري وغيرهم من جهابذة العلماء ، وفخاخل الشفاء من أهل السنة والجماعة ، فمن هم أهل السنة إذن ؟

إنني أدعو مخلصاً كل الدعوة وكل العاملين في حق الدعوة الإسلامية أن يتقوا الله في أمة محمد ﷺ وبخاصة في أحلة علمائها وأحبار فقهاؤها ، فأمة محمد ﷺ بخير إلى قيام الساعة ولا حير فينا إذا لم نعرف لعلمائنا قدرهم وفضلهم (١) .

---

(١) انظر ما كتبه شيخنا العلامة الشيخ محمد علي الصابري في مسألة الأشاعرة من بحث طويلة مهمة

## حقائق نهوت بالبحث

ومعنى البحث ، من العلماء ، في حقائق كثيرة من مسائل العقيدة من  
ثم ركوبه ربه الله تعالى ، وأنا أدري أن ذلك البحث يذهب بها إلى  
حدود وحدانيته ، وذلك مثلاً لخلاف العلماء في ربه الذي كلفه  
مسخه وبعثه وكلف كتاب ، والخلاف العظيم للعالمين الذي سمعهم  
غير ربه ربه فمن قائل ربه بقلبه ، ومن قائل ربه بعينه ، وكل  
مورد ربه يستصر له بما لا طائل تحته ، والذي أراد أن كل ذلك  
ما فائدة فيه بل صرره أكبر من نفعه ، خصوصاً إذا سمع العواء  
فيه تدخل التشكيك في قلوبهم لا محالة ، ولو أننا ألغينا البحث عن  
هذا واكتفينا بإيراد هذه الحقيقة كما جاءت لبقيت مكرمة معظمة في  
سبوس بأن نقول إنه ﷺ رأى ربه ونقتصر على هذه الحقيقة وستر  
الباقي له هو

### وكلم الله موسى تكليماً :

ومن ذلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة  
كلام الله تعالى والخلاف الكبير الدائر في هذا الباب ، فمن قائل  
إن كلامه سبحانه وتعالى كلام نفسي ومن قائل : إن كلامه  
سبحانه وتعالى بحرف وصوت ، وأنا أعتقد أن كلا الطرفين

نطلب حقيقة التبره لله سبحانه وتعالى وسعد عن الشرك  
بكل انواعه

ومسألة الكلام هذه ناسه لا محال لإنكارها إذ هو لا سافي  
الكمال اللهم هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أن مسامحه سبحانه  
ويعفو بوارده في القرآن بحسب الامان بها والناية لأنه لا يعرف الله  
بده

وسمى ربه وهو الله هو إسماء هذه الحقيقة دون العوض في  
نفسه وسماه فسب لله سبحانه وتعالى الكلام ، يقول هذا كلام  
به وسماه به سبحانه وتعالى متكلم ، ونصرف النظر عما بعد  
به من كونه كلاماً نفسياً أو غير نفسي بحرف وصوت أو لا حرف ولا  
صوت وكذا هذا تطع لم يتكلم فيه الذي جاء بالتوحيد وهو المصطفى  
منه فله إريادة على ما جاء به ؟ أليس هذا من أقبح الدع ؟  
سجد هذا بهتان عظيم .

هو علة يحدثنا عنه يوم نجتمع به عند الله سبحانه وتعالى ، نحن  
ندعو إلى أن يكون حديثنا دائماً عن هذه الحقيقة وأمثالها مجرداً عن  
القوص في كفياتها وصورها وأشكالها .

إني أراكم من خلفي :

ومن ذلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة قوله

ﷺ : « إني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي » فمن قائل : إن الله تعالى يجعل لنبيه ﷺ عينين من الخلف ، ومن قائل : إن الله سبحانه وتعالى يجعل لعينيه الأماميتين قوة نفاذة ترى بها ما خلفهما ، ومن قائل : إن الله سبحانه وتعالى يعكس له ﷺ ما خلفه حتى تكون صورته أمامه من عينيه ، وكل هذا نذفع بخروج هذا الحقيقة عن حائلها وورودها ، وموضع هبشتها وحلالها فهي القلوب .

أما كونه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه فهي حقيقة ثابتة أخبر بها بنفسه فيما صح عنه فلا مجال لإنكارها ، ولكن الذي ندعو إليه وراء هو أن نثبت هذه الحقيقة هكذا مجردة كما وردت دون الدخول في كيفيتها وشكلها ، يجب علينا أن نعتقد إمكان ذلك وثمرته بأن نشهد بخارق من الخوارق التي تضمحل عندها الأسباب وتتلاشى لتظهر قدرة الواحد القهار ومنقبة النبي المختار ﷺ .

### جبريل يتمثل رجلاً :

ومن ذلك أيضاً اختلاف العلماء في كيفية تشكل جبريل عليه السلام إذا جاء بالوحي على صورة رجل مع هول خلقه .

فمن قائل : إن الله يفني الزوائد من خلقه ، ومن قائل : إنه ينضم بعضه إلى بعض حتى يصير صغيراً ، والذي أراه أن كل ذلك عبث ، وأن البحث فيه تعب لا فائدة منه ، فنحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قادر على ذلك ، وأن هذا واقع ومشاهد ، فقد رآه كثير من

الصحابة على تلك الصورة ونحن لا يهمنا معرفة الطريقة التي يتم بها  
قتل الملك بصورة رجل ، وندعو إخواننا من طلاب العلم إلى إيراد هذه  
الحفصة دون التعرّض لما وراءها من خلاقات لتبقى حليلة عظيمة في  
العرس

## الخاتمة

## عقيدة الإسلام

[illegible]

و به تعالى مقدس عن الزمان والمكان ، وعن مشابهة الأكوام  
ولا تحيط به الجهات ، ولا تعتريه الحادثات مستوي على عرشه على  
الروح الذي قلناه ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء يليق بعز حلاله ، وعلو  
محمد وكرامته

وَأَمَّا تَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مُوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَشَهِيدٌ ، حَيَّ قَيُّوْمٌ ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

وأنه تعالى على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم



﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾  
 ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾  
 ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ  
 وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ ۝ ٤ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ  
 وَالْبَحْرِ وَمَا سُفِّطَ مِنْ رَفَعٍ إِلَّا يَسْلُطُهَا وَلَا حِئَاةَ فِي ظُلُمَاتٍ  
 الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَاسٍ إِلَّا هِيَ كِتَابٌ مُبِينٌ ﴾

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّكَ الْكَائِنَاتِ ، مُدِيرٌ لِلْحَادِثَاتِ .

وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ كَائِنٌ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَوْ نَفْعٍ ، أَوْ ضَرٍّ ، إِلَّا بِقَضَائِهِ  
 وَشَيْئَتِهِ ، قَدْ شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ  
 كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْرُكُوا فِي الْوُجُودِ ذَرَّةً أَوْ يَسْكُنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى  
 لَعَجَزُوا عَنْهُ .

وَأَنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِي لَا يَشْبَهُ  
 كَلَامَ الْخَلْقِ .

وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُهُ الْقَدِيمُ ، وَكِتَابُهُ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ  
 مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالرَّازِقُ لَهُ وَالْمُدَبِّرُ لَهُ ، وَالْمُتَصَرِّفُ  
 فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ؛ لَيْسَ لَهُ فِي مَلِكِهِ مُنَازَعٌ وَلَا مَدَافِعٌ ، يُعْطِي مَنْ  
 يَشَاءُ ، وَيُمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ،

﴿ لَا يُسَالُ عَمَّا بَفَعَلْ وَهُمْ يُسَالُونَ ۚ ﴾

وأنه تعالى حكيم في فعله ، عدل في قضائه ؛ لا يتصور منه ظلم ولا جور ، ولا يصب عليه لأحد حق ، ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفه غير لم يكن بذلك خائراً عليهم ، ولا ظالماً لهم ، فإنهم ملكه وعبيده ، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء ، وما ربيك بالظالم للعبيد ، شئت عباده على الطاعة ، أو سلاً وكرماً ، وبغافيتهم على العاصي حكيم ومعدل

وأن طاعته واجبة على عباده بإيجابه على السنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

وؤمن كل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله وبملائكة الله تعالى وبالقدر خيره وشره .

وشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أرسله إلى الجن والإنس ، والعرب والعجم - بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأنه صادق أمين ، مؤيد بالبراهين الصادقة ، والمعجزات الخارقة ، وأن الله فرض على العباد بصدقه وطاعته واتباعه .

وأنه لا يقبل إيمان عبدٍ - وإن آمن به سبحانه - حتى يؤمن برسالة محمد ﷺ، ويحصى ما جاء به ، وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرخ .

« ومن ذلك » أن يؤمن بسؤال منكرو ونكرو للموتى ، عن التوحيد والدين والنبوة .

وأن يؤمن بعدم القبر لأهل الطاعة وبعباده لأهل المعصية .

وأن يؤمن بالبعث بعد الموت وبحشر الأحياء والأرواح إلى الله ، وبأن يوقف بين يدي الله ، وبالحساب ، وأن العباد يتفاوتون فيه إلى سبعين ومائة ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب .

وأن يؤمن بالميزان الذي توزن فيه الحسنات والسيئات وبالصراف وهو حشر محدود على متن جهنم ، وبحوض نبينا محمد ﷺ : « الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وماؤه من الجنة » .

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم الصديقين والشهداء ، والعلماء والصالحين والمؤمنين . وأن الشفاعة العظمى مخصصة بمحمد ﷺ .

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد ، حتى لا يخلد فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وأن أهل الكفر والشرك مخلدون في النار أبد الآبدين ، و ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ . وأن المؤمنين مخلدون في الجنة أبداً سرمداً ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ .

وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم ، على ما يليق بجلاله  
وقدس كماله .

وأن يعزق فصل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم ، وأنهم عدول  
خيار أمناء ، لا يحور سبهم ، ولا القلح في أحد منهم ، وأن الخلفاء  
الحق بعد رسول الله ﷺ « أبو بكر الصديق » ثم « عمر الفاروق » ثم  
« عثمان التمهيد » ثم « علي المرتضى » ، رضي الله تعالى عنهم  
وعر أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى  
يوم الدين ، وعنا عنهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين .

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

وكتبه

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني  
خادم العلم الشريف  
بالبلاط الحرام

# الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
مقدمة هل هو	٥
مقدمة هو هو هو هو هو	١٨
مقدمة هو هو هو هو هو	٣٢
مقدمة هو هو هو هو هو	٣٥
مقدمة هو هو هو هو هو	٣٨
مقدمة هو هو هو هو هو	٤١
مقدمة هو هو هو هو هو	٤٧
مقدمة هو هو هو هو هو	٥٥
مقدمة هو هو هو هو هو	٦٣
مقدمة هو هو هو هو هو	٧١
مقدمة هو هو هو هو هو	٧٥

الموضوع	الصفحة
مقام الخالق ومقام المخلوق	٨١
أمر مشترك بين المقامين لا ينافي التفرقة	٨٨
الخيار العقلي واستعماله	٩١
الدعوى بين العبادة والأدب	٩٩
الراسخة الشريعة	١٠٥
حقيقة المشاعر	١١٢
حقائق تموت بالبحث	١١٦
الخاتمة - عقيدة الإسلام	١٢٠
التفهرس	١٢٥

